الحشر وقيام الساعة

ماهر أحمد الصوفي
الباحث في وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف
دولة الإمارات العربية المتحدة

قدم للموسوعة
الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي
الدكتور محمد جمعة سالم الدكتور عكرمة سليم صبري
الدكتور محمود عاشور الدكتور فاروق حمادة

المكتبة العصرية
صيدا - بيروت

موسوعة الآخرة

الحشر وقيام الساعة

سِلسِلة
مَوْسُوعَة الآخِرَة

الحَشرُ وَقيَامُ السَّاعَة

ماهر أحمد الصوفي
الباحث في وزارة العدل والشؤون الإسلاميّة والأوقاف
دولة الإمارات العربيّة المتّحدة

قَدَّمَ لِلمَوسُوعَة

الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

الدكتور محمّد جُمعَة سالم — الدكتور عكرمة سليم صبري

الدكتور محمود عاشور — الدكتور فاروق حمادة

المكتبة العصرية
صيدا - بيروت

شركة أبناء شريف الأنصاري
للطباعة والنشر والتوزيع
صيدا - بيروت - لبنان

• المكتبة العصرية
الخندق الغميق - ص.ب: ١١/٨٣٥٥
تلفاكس: ٦٥٥٠١٥ - ٦٣٢٦٧٣ - ٦٥٩٨٧٥ (٠١) ٠٠٩٦١
بيروت - لبنان

• الدار النموذجية
الخندق الغميق - ص.ب: ١١/٨٣٥٥
تلفاكس: ٦٥٥٠١٥ - ٦٣٢٦٧٣ - ٦٥٩٨٧٥ (٠١) ٠٠٩٦١
بيروت - لبنان

• المطبعة العصرية
بوليفار نزيه البزري - ص.ب: ٢٢١
تلفاكس: ٧٢٠٦٢٤ - ٧٢٩٢٥٩ - ٧٢٩٢٦١ (٠٧) ٠٠٩٦١
صيدا - لبنان

٢٠٠٩م - ١٤٣٠هـ

E. Mail
alassrya@terra.net.lb
alassrya@cyberia.net.lb

موقعنا على الإنترنت
www.almaktaba-alassrya.com

ISBN 9953-34-343-8

بسم الله الرحمن الرحيم

قدّم لموسوعة الآخرة

كلٌّ من السادة الأفاضل

١- الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

٢- الدكتور محمد جمعة سالم : وكيل وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف - دولة الإمارات العربية المتحدة.

٣- الدكتور عكرمة سليم صبري : خطيب المسجد الأقصى ومفتي القدس والديار المقدّسة.

٤- الدكتور محمود عاشور : وكيل الأزهر الشريف سابقاً.

٥- الدكتور فاروق حمادة : أستاذ السنة وعلومها بكلية الآداب جامعة الملك محمد الخامس - الرباط.

لقد تم تثبيت هذا التقديم
في الجزء الأول
من موسوعة الآخرة

أسماء وعناوين أجزاء

سلسلة موسوعة الآخرة

١ ـ **الجزء الأول**	: علامات الساعة الصغرى والوسطى
٢ ـ **الجزء الثاني**	: علامات الساعة الكبرى
٣ ـ **الجزء الثالث**	: الموت وعالم البرزخ
٤ ـ **الجزء الرابع**	: الحشر وقيام الساعة
٥ ـ **الجزء الخامس**	: البعث والنشور
٦ ـ **الجزء السادس**	: بداية يوم القيامة ـ أرض المحشر الحوض ـ الشفاعة العظمى
٧ ـ **الجزء السابع**	: الحساب والعرض على اللّٰه سبحانه
٨ ـ **الجزء الثامن**	: الميزان ـ الصحف ـ الصراط ـ أنواع الشفاعات
٩ ـ **الجزء التاسع**	: النار أهوالها وعذابها
١٠ ـ **الجزء العاشر**	: جنان الخلد نعيمها، وقصورها وحورها

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ * يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ﴾.

[سورة الحج، الآيتان: ١، ٢]

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾.

[سورة سبأ، الآية: ٣]

﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَا * فِيمَ أَنتَ مِن ذِكۡرَىٰهَآ * إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ * إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخۡشَىٰهَا * كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَهَا لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوۡ ضُحَىٰهَا﴾.

[سورة النازعات، الآيات: ٤٢ ـ ٤٦]

حديث شريف:

- عن ابن عمر رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« ثم يرسل اللَّه ريحاً باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا قبضته، حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلت عليه حتى تقبضه، فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع، لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً، فيتمثل لهم الشيطان، فيقول: ألا تستجيبون، فيقولون: فما تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان فيعبدونها وهم في ذلك دارٌّ رزقهم حسن عيشهم ثم ينفخ في الصور » . . . وتقوم الساعة.

[رواه مسلم ٢٩٤٠]

- عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه، ولتقومن الساعة وهو يَلُوطُ حوض إبله فلا يسقى منه، ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها ».

[رواه البخاري]

الإهـداء

وهبت عملي . . . .

إلى اللَّه تعالى . . ربنا ورب الآخرة والأولى الذي لا تضيع عنده الصالحات القائل في محكم كتابه :

﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۞ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ۞ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴾ .

فتقبل مني إنك أنت السميع العليم .

إلى رسول اللَّه ﷺ . . .

الذي قدَّم في سنته الشريفة علماً غزيراً عن كل حقائق الآخرة بدءاً من أشراط الساعة والموت وعالم البرزخ وقيام الساعة إلى عالم الجنة والنار فدلَّنا وأرشدنا ونبَّهنا وعلَّمنا . . اللَّهم صلِّ وسلِّم عليه حتى نلقاه بإذنك على الحوض يوم القيامة .

تقديم

بقلم الأستاذ الدكتور
محمد سعيد رمضان البوطي

الحمد للّه الذي بنعمته تتم الصالحات وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

فقد ابتلي كثير من المسلمين في هذا العصر بالاستيحاش من الحديث عن سلسلة الأحداث التي تواجه العبد، عند انتهاء أيامه وساعاته في هذه الحياة الدنيا، والتي لا بدّ أن يعبر منها بوابة الموت. وإنك لتسمع أحدهم يقول، عندما يذكّر بالموت وما وراءه من أحداث اليوم الآخر: إننا نتمتع الآن بنعم الدنيا، فلا تنقص علينا متعتنا بالحديث عما وراءها من أخبار الموت وما بعده...

وإنه لغباء عجيب أن يغمض الإنسان عينيه عن الطريق الذي لا مناص له من السير فيه، غير مبال بالعقبات التي ينبغي أن يحيد عنها، وبالحفر التي يجب أن يتجنبها، والالتواءات التي لا بدّ له من اتباعها والدوران معها، وهو يعلم أنه لا بديل له عن هذا الطريق وأنه لا يملك إلا التوجه إليه والسير فيه...

وقد علمنا جميعاً أن دقات الزمن لا تتوقف، وأنها إنما تحصي ساعات العمر ودقائقه فما من يوم يمرّ إلا ويدني صاحبه بمقدار ذلك إلى أجله، ويبعده بالمقدار نفسه عن دنياه:

يسّر المرء ما ذهب الليالي   وكان ذهابهن له ذهابا

ثم إن صلاح الحياة الدنيوية رهن بما ينبغي أن يعلمه الإنسان من أحداث الحياة الآخرة.. فمن كان على بيِّنة من يوم الجزاء، استقام في سلوكه وتعامله مع الآخرين أيام دنياه. ومن كان غافلاً عنه غير مبالٍ به، لم يجد ما يدعوه إلى أي استقامة مع نفسه ولا مع الآخرين.

ومما يزيد هذا الابتلاء خطورة أن كثيراً من المشتغلين بما يسمى اليوم بالفكر الإسلامي ينأون هم الآخرون عن الحديث عن الموت وما بعد الموت، ويحصرون بحوثهم الفكرية عن الإسلام داخل ساحة لا تتجاوز المعايش الدنيوية وأحداثها ومشكلاتها، وكأنهم يصانعون الناس ويجارونهم في إعراضهم عما يستوحشون أو يتشاءمون من الخوض فيه.

***

ولما أهدى إليّ العالم الباحث في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، في دولة الإمارات العربية المتحدة، الشيخ ماهر الصوفي، كتابه الممتع النادر «موسوعة الآخرة» لم أشكّ في أن عاقبة هذا الجهد الكبير لن تكون سوى الإعراض عنه والتخوف مما يحمله إلى الناس من مشاعر التشاؤم والوحشة، ومن تنغيص ساعات لهوهم عليهم بمخاوف المستقبل.

ولكن كم كانت المفاجأة سارة والغبطة كبيرة، عندما أكد لي المؤلف أن الطبعة الأولى منه نفدت خلال أشهر لم تبلغ تمام العام.

إذن، لئن كان في الناس من لا يريد أن يسمع شيئاً عن أحداث ما بعد هذه الحياة الدنيا، فإنه لا يزال فيهم الكثير ممن يصغي السمع إليها، ويربط حياته الحاضرة بالمستقبل الذي هو آيل إليه.

ويبدو أن هذا الفريق الثاني من الناس، يعاني من ظمأ إلى من يبصّره مفصلاً عن ذلك المستقبل ويحدثه بتوسع عن أحداثه ومراحله. ولا غرابة في أن يتحكم بهم هذا الظمأ عندما يبحثون، فلا يجدون من أحاديث «الفكر الإسلامي» إلا ما يتناول الدنيا وشؤون وتقويم الأحداث التي تتكاثر وتتطور فيها.. ومن ثم فلا غرابة في أن يقعوا من هذا العنوان المتألق: «موسوعة الآخرة» على بغيتهم التي ينشدونها، وعلى معرفة المصير الذي سيتأتى لهم ربط حياتهم الدنيوية به.

ولقد استعرضت السلسلة المتدرجة من أحداث يوم القيامة ومقدماته، موزعة على أجزاء هذا الكتاب، وبدأت أقرأ بإمعان أول أجزائه وهو يتناول الحديث عن المقدمات التي ستتجلى بين يدي قيام الساعة، مؤكدة لها ومنذرة بها.. فأعجبني في المضمون ما ألزم به المؤلف نفسه، من توثيق الأخبار وتخريج الأحاديث والالتزام بترتيب الأحداث.. وأعجبني في الشكل العناية المتميزة بالتنفيذ وتوظيف ذلك لتقريب المعنى وتيسير الدلالة كما أعجبني فيه أناقة الإخراج وجمال المظهر.

وأنه لتوفيق إلّهي أن يجنِّد ذلك كله لتعبيد السبيل ما بين فكر القارئ الذي ربما استهوته زهرة الدنيا ومفاتنها، وبين المآل العظيم الذي هو آيل إليه. وإنها لحكمة عالية أن يفرش على جنبات هذا السبيل ما يؤنس القلب ويريح العين ويبعث في النفس الرغبة في السير مع الأحداث المتتابعة التي يمضي بك إلى نهايتها معراج هذا الكتاب.

والمأمول أن يتم اللّه فضله، فيجعل من الإقبال على هذه الموسوعة، ومن السير العقلي والقلبي مع أحداث يوم القيامة فيها، ما

يضبط سلوك القارئ في حياته الدنيا بميزان العدل ونبراس العلم، وسلطان الحق، ويوقظ من مراقبته للَّه ما يجعله قيماً على سلوكه، وتصرفاته مع الآخرين.

أما الأخ الباحث العالم الذي وفقه اللَّه لإخراج هذه الموسوعة التي تضع الإنسان أمام قصة الرحلة التي قضى اللَّه بها عليه، فأسأل اللَّه أن يجزل له الأجر عليها، وأن يجعل من هداية الناس بها مصدر مثوبة له؛ وإنها لصدقة جارية لن ينقطع عنه رفدها إلى يوم الدين والحمد للَّه رب العالمين.

أبوظبي في ١٧ رمضان المبارك عام ١٤٢٥هـ.

محمد سعيد رمضان البوطي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن قيام الساعة هو إعلان كامل لإنهاء الحياة على هذه الأرض وفي هذا الكون كله.. وبدء مرحلة جديدة تبدأ بقيام الساعة ثم حشر الناس بعد نفخة البعث الثانية ثم انتقالهم إلى أرض المحشر التي أعدَّها اللَّه سبحانه لكامل يوم القيامة.

وقيام الساعة هو أحد المراحل العصيبة لشدة أهوالها.. فنهاية الحياة يعني تدمير كل شيء لأن دوره قد انتهى سواء أكان في السماوات أم في الأرض فليس قيام الساعة هو موت الناس ثم بعثهم وجمعهم على أرض المحشر... إنما هو زلزال الأرض وإخراج أحمالها وأثقالها وتفجير البحار وتسجيرها وتسيير الجبال وجعلها سراباً وعهناً بعد أن ينسفها اللَّه سبحانه نسفاً، ثم تُمد الأرض مداً شاسعاً ليحشر اللَّه سبحانه عليها كل الخلائق إنسهم وجنهم ووحشهم أولهم وآخرهم... ثم تتشقق هذه السماء المترابطة والمتماسكة والتي وصفها اللَّه سبحانه بالشديدة الربط والإحكام والتنسيق والجمال... حيث تتحول هذه النجوم اللَّامعة إلى قطع مظلمة بعد أن تنكدر وتتحول الشمس التي عشنا في حرارتها ودفئها ونورها وأشعتها إلى أرض مظلمة لا نور فيها بعد أن تكور وتلف كما تلف العمامة.

... وقيام الساعة وأهوال الساعة لا يشهده إلا من بقي من الكفرة الفجرة من البشر الذين عبدوا الأوثان وكانوا أسرع من الطير والسباع في ارتكاب المعاصي والذنوب فقد تحالفوا مع الشياطين

وعبدوهم مع الأوثان وأصبحوا تبعاً لهم.. لذلك يكون عقابهم ـ غير عقاب الآخرة وجهنم خالدين فيها ـ عذاباً شديداً لما يرونه من زلازل الأرض وانشقاقها وتسجير البحار وتفجيرها ولما يشاهدونه من نسف الجبال أمامهم وكيف تتحول إلى ذرات صغيرة كأنها العهن... وكذلك ما يكون من حال السماء، فإن نظروا من فوقهم لم يروا إلا الدمار وكيف تتحول السماء من فوقهم إلى كتلة هائلة من الحمم الحمراء... وإذا نظروا عن أيمانهم وشمائلهم ومن أسفل منهم لم يجدوا إلا زلازل وأعاصير وانفجارات تجعل قلوبهم في حناجرهم من الهلع والفزع.. حيث وصفهم اللّه سبحانه كأنهم سكارى وما هم بسكارى ولكن ما يلقونه ويشاهدونه هو العذاب الشديد، حيث تضع الحامل ولدها من الفزع وكذلك ترمي الأم وليدها من على صدرها خوفاً على نفسها ولما تشاهده من عذاب اللّه ـ حيث يقول الإنسان: مالِ هذه الأرض وما جرى لها ومال هذه السماء وما جرى لها ذلك أن الذين يشهدون الساعة كما قلت هم الكفرة الفجرة الذين وصل حالهم من الكفر والشرك والظلم والمعاصي بحيث لا يعلمون ما الساعة، وما القيامة ولا الحساب ولا أي معنىً للقاء اللّه سبحانه.. وفي قراءة الجزء الثاني من الموسوعة يتبيَّن للقارئ أن اللّه سبحانه ومن عظيم رحمته بعباده يرسل قبل قيام الساعة ريحاً لينة تقبض روح كل إنسان في قلبه ذرة من الإيمان لأن اللّه ومن فضله العظيم لا يعذب من كان مؤمناً وفي قلبه قليل من الإيمان بهذه المشاهد المرعبة المخيفة من قيام الساعة.

وفي هذا الجزء من السلسلة المعنون (الحشر وقيام الساعة) فصلنا الحديث وبمنتهى الدقة عن قيام الساعة وذكرنا كل ما يتعلق بهذا الشأن العظيم معتمدين على كتاب اللّه تعالى وما ذكر فيه عن قيام

الساعة وأهوالها وكذلك أحاديث رسول اللَّه ﷺ الصحيحة مستبعدين كل الأحاديث الضعيفة أو التي ليس لها سند أو راو معتمد.. وكذلك كل حديث أو تفسير ليس له سند صحيح أو راو معترف به.. وفي الأمر جديد حيث أدخلنا علم الفلك في الحديث عن قيام الساعة وأحدث النظريات العلمية عن السماء وقمنا بعون اللَّه بالتحليل والمقارنة وبيان معنى السماء والسماوات وما فيها من عظمة اللَّه سبحانه.. بعد أن قدَّم لنا علم الفلك المعاصر بتكنولوجيته الحديثة تفسيراً كبيراً عن مكنونات السماء واتساعها ونشأة الكون وتوقعات العلماء بنهايته في يوم قادم.. كذلك أدخلنا بعض علم الجيولوجيا المعاصر كي ننظر كيف تدمر الأرض يوم القيامة وتزلزل وتخرج أحمالها وأثقالها من البشر وغير ذلك من تسجير البحار وانفجارها وفق أحدث النظريات العلمية المعاصرة وكذلك راعينا شؤون اللغة لتكون سهلة ومفهومة، وكذلك جعلنا الأسلوب مبسطاً لا تعقيد في أدائه لتصل المعلومات لكل الناس سهلة لينة طيعة لا لبس فيها ولا غموض.

ونرجو من اللَّه القبول ولا اكتمال لعمل فالكمال للَّه وحده وأرجو اللَّه سبحانه أن يجعل هذا العمل في ميزان حسناتنا وحسنات كل من ساهم في هذا العمل وقرأ وتمعن واعتبر وفكر واهتدى.

واللَّه من وراء القصد ولا حول ولا قوة إلا باللَّه.

المؤلف

ماهر أحمد الصوفي

الفصل الأول

- العلامة الكبرى الأخيرة.
- البحر المسجور وعلاقته بالعلامة الكبرى الأخيرة.
- قيام الساعة.
- مدخل.
- السماء الدنيا والسماوات السبع من منظور علم الفلك الحديث وبيان قدرة اللّه وعظيم كونه وسماواته.
- شرار الناس آخر الخلق.
- لماذا حجب اللّه سبحانه وقت قيام الساعة.. حتى عن رسله وأنبيائه، ولا تأتي إلا بغتة؟؟
- هل أخفى اللّه سبحانه عنا... قيام الساعة مطلقاً؟؟
- كيف تقوم الساعة؟
- على من تقوم الساعة؟

العلامة الكبرى الأخيرة
«نار تخرج من أرض عدن... تحشر الناس إلى محشرهم»

قلنا في الجزء الثاني لموسوعة الآخرة أشراط الساعة (العلامات الكبرى): إننا سنرجئ الحديث عن العلامة الكبرى والأخيرة وهي: ـ

(نار تخرج من أرض عدن تحشر الناس إلى أرض المحشر).

وهذه العلامة هي من الآيات العشر التي تحدَّث عنها رسول اللَّه ﷺ، وأنه لا تقوم الساعة إلا بوقوعها جميعاً.

يقول رسول اللَّه ﷺ:

عن حذيفة بن أسيد الغفاري رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«إنها لن تقوم الساعة حتى تروا قبلها عشر آيات... فذكر الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوفات، خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف في جزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن (عدن) تطرد الناس إلى محشرهم»(١). وأما سبب إرجائي لهذه العلامة الكبرى فهو لسببين:

الأول: أنها واقعة وقت وقوع وقيام الساعة ولا فاصل زمني

---

(١) رواه مسلم (٤ / ٢٢٢٥) رقم الحديث (٢٩٠٠).

بينهما، ولا علامة كبرى ولا صغرى ولا أي حدث آخر، وكأني أراها من جنس قيام الساعة.

الثاني: أن في هذه العلامة علماً عظيماً اكتشف مؤخراً سنتحدث عنه مفصلاً، يؤكد وبفضل اللّه تعالى صحة الروايات للمشككين، وبأن رسول اللّه ﷺ لا ينطق عن الهوى إنما هو وحي يوحيه اللّه سبحانه لنبينا محمد ﷺ.

وقد ذكر النبي ﷺ جملة من الأحاديث الشريفة التي تخص هذه العلامة الكبرى.

- عن ابن عمر رضي اللّه عنهما قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**ستخرج نار من أرض عدن قبل القيامة، قالوا: فما تأمرنا يا رسول اللّه؟ قال: عليكم بالشام**»[١]

عن ابن عمر رضي اللّه عنهما قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«**ستخرج نار من حضرموت - أو من بحر حضرموت[٢] قبل يوم القيامة تحشر الناس**»، قالوا: يا رسول اللّه: فما تأمرنا؟ قال: «**عليكم بالشام**»[٣]

- عن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**لتقصدنكم نار هي اليوم خامدة، في واد يقال له: برهوت[٤]، تغشى الناسَ، فيها عذاب أليم، تأكل الأنفس والأموال تدور الدنيا كلها في ثمانية أيام، تطير طير الريح والسحاب، حرُّها بالليل أشد من حَرها بالنهار، ولها دوي بين السماء والأرض كدوي الرَّعد القاصف، هي من رؤوس الخلائق أدنى من**

(١) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح رقم ٢٢١٧.
(٢) حضرموت: اليمن.
(٣) رواه أحمد في مسنده (٢/ ٦٩).
(٤) برهوت اسم واد أو بئر في اليمن.

العرش» قيل: يا رسول اللَّه: أَسَلِيمةٌ هي يومئذٍ على المؤمنين والمؤمنات؟ قال: **«وأين المؤمنون والمؤمنات يومئذ؟ هم شر من الحُمُر، يتسافدون كما تتسافد البهائم، وليس فيهم رجل يقول: مهْ مه»**(١).

هذه النار الهائلة التي تخرج من أرض عدن (اليمن) وتغشى الناس، وفيها عذاب أليم تأكل الأنفس والأموال إنما تقوم على أولئك الكفرة الفجرة الذين لا ينكرون منكراً ولا يقرون معروفاً في ارتكابهم الذنوب والمعاصي في خفة الطير وأحلام السباع. . . وذلك كما تقدم بأن اللَّه سبحانه يرسل ريحاً طيبة ألين من الحرير، لا تترك مؤمناً في قلبه ذرة من الإيمان إلا قبضته، فإذا لم يبق إلا هؤلاء الفجرة الكفرة قامت عليهم الساعة بعد أن تحشرهم النار إلى أرض المحشر الشام.

ـ عن عبد اللَّه بن عمرو رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«ثم يرسل اللَّه ريحاً باردة من قِبَل الشام، فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته، حتى لو كان أحدهم دخل في كبد جبل لدخلت عليه حتى تقبضه»، قال: سمعتها من رسول اللَّه ﷺ قال: **«فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع، ولا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً، فيتمثل لهم الشيطان فيقول: ألا تستجيبون؟ فيقولون: ما تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان وهم في ذلك دَارَّةٌ أرزاقهم، حسن عيشهم، ثم ينفخ في الصور»**(٢).

---

(١) رواه الطبراني وابن عساكر كنز العمال (١٤ / ٣٤٥).

(٢) رواه مسلم في صحيحه ـ كتاب الفتن، باب خروج الدجال (٤ / ٢٢٥٨) رقم الحديث (٢٩٤٠).

وهذه الريح الباردة التي تقبض أرواح المؤمنين هي من آخر علامات الساعة الكبرى بعد نزول عيسى ابن مريم عليه السلام وخروج يأجوج ومأجوج والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، والدخان، وهدم الكعبة وعودة الناس إلى عبادة الأوثان... ولا يبقى بعد هذه الريح الطيبة إلا تلك النار التي تخرج من قعر عدن، تحشر من بقي في هذه الدنيا من المشركين والكافرين والمجرمين الذين لا يذكرون اللَّه تعالى، نسوا اللَّه فأنساهم أنفسهم فيكونون كالأنعام يتهارجون تهارج الحُمُر.

عن أنس رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: اللَّه اللَّه**»(١)، وعلى هؤلاء تقوم الساعة بغتة بعد أن عاشوا في بُحبوحة من العيش رزقهم كثير، مالهم وفير دارة أرزاقهم، حسن عيشهم، كما في الحديث عند مسلم الذي أوردناه.

فإذا ما أذن اللَّه سبحانه بقيام الساعة، أخرج من قعر عدن (اليمن) هذه النار الهَائلة التي تجبر الناس على الهروب منها، فهي تسير سير الناس تقيل معهم إذا قالوا وتبيت معهم إذا باتوا، تطردهم جميعاً إلى أرض المحشر بلاد الشام ومن لا يهرب منها ويسير أمامها تأكله تلك النار، لذا فمن الخوف يهربون منها وهي تلحقهم ولا مناص لهم منها أبداً فلا يستطيعون منها فَكاكاً أو هروباً يميناً أو شمالاً، فحيثما كانت هذه النار فإنها تطرد الناس إلى الشام.

ولنقرأ حديث رسول اللَّه ﷺ لنعرف كيف تحشر هذه النار الناس إلى أرض المحشر.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، مشكاة المصابيح ٣ / ٥٠ رقم الحديث (٥٥١٦).

ـ عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«**يحشر الناس** ـ أي قبل قيام الساعة ـ **على ثلاث طرائق راغبين راهبين، واثنان على بعير، وثلاثة على بعير، وأربعة على بعير، وعشرة على بعير، وتحشر بقيتهم النار، تقيل معهم حيث قالوا، وتبيت معهم حيث باتوا، وتصبح معهم حيث أصبحوا، وتمسي معهم حيث أمسوا**»(١).

ـ عن معاوية بن حيدة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**إنكم تحشرون رجالاً وركباناً وتجرون على وجوهكم ها هنا وأومأ بيده نحو الشام**»(٢).

وقد جاء في حديث البخاري أيضاً أن النار هذه تحشر الناس من المشرق إلى المغرب ثم إلى بلاد الشام.

ـ عن عبد اللّه بن سلام أنه بلغه مقدَمُ النبي ﷺ إلى المدينة (أي مهاجراً) فأتاه يسأله عن أشياء، فقال: إني سائلك عن ثلاث: **ما أول أشراط الساعة؟ فقال رسول اللّه ﷺ: «أما أول أشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب**»(٣).

ـ عن ميمونة بنت سعد رضي اللّه عنها قالت: قال رسول اللّه ﷺ: «**الشام أرض المحشر والمنشر**»(٤).

ـ عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: «**يتركون المدينة على خير ما كانت، لا يغشاها إلا العوافي** (يريد

---

(١) صحيح البخاري كتاب الرقاق، باب الحشر، فتح الباري (٣ / ٣٧٧).
(٢) رواه أحمد في مسنده والترمذي في سننه والحاكم في المستدرك بإسناد صحيح الجامع الصغير (٢ / ٢٧٢) رقم الحديث (٢٢٩٨).
(٣) صحيح البخاري، فتح الباري (٧ / ٢٧٢).
(٤) رواه أحمد في مسنده وابن ماجه في سننه فتح الباري.

عوافي السباع والطير)، **وآخر من يحشر راعيان من مزينة، ينعقان بغنمهما فيجدانها وحشاً، حتى إذا بلغا ثنية الوداع خرَّا على وجههما**»(١) عندما يسمعان صعقة البعث.

. . . مما تقدَّم من الأحاديث الشريفة أصبح بيان حشر الناس إلى أرض الشام واضحاً، فالأحاديث الشريفة واضحة بيِّنة لا لبْس فيها ولا غموض، أجارنا اللّٰه سبحانه من هذه النار التي يتلبّس فيها الناس بعذاب عظيم يجمع بين الألم والخوف ويذوقون فيه من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر، فالساعة لا تقوم إلا على شرار الناس وحثالتهم.

ولكن يبقى سؤالان من خلال هذه الأحاديث الشريفة؟

السؤال الأول: إن في الأحاديث الشريفة الواردة أن رسول اللّٰه ﷺ قال في حديث: «**ستخرج نار من أرض عدن تحشر الناس إلى أرض المحشر**»، وقال في حديث: «**أما أول أشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب**».

والجواب أن الجمع بين الحديثين الشريفين وهو أن خروج النار من قعر عدن (اليمن) لا ينافي انتشار هذه النار بسرعة هائلة كما قدمت في الحديث لتحشر الناس أيضاً من المشرق في بلاد خراسان وباكستان وهي في الشرق إلى بلاد الشام وهي في الغرب بالنسبة لمن يعيش في الشرق.

السؤال الثاني: حول الحديث الشريف الذي رواه البخاري «**يحشر الناس على ثلاث طرائق راغبين راهبين، واثنان على بعير وثلاثة على بعير وعشرة على بعير وتحشر بقيتهم النار، تقيل معهم حيث قالوا**

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني.

وتبيت معهم حيث باتوا، وتصبح معهم النار حيث أصبحوا وتمسي معهم حيث أمسوا» .

ذهب بعض أهل العلم إلى أن هذا الحشر يكون في الآخرة، وعزا القرطبي في التذكرة القول إلى أبي حامد الغزالي وإلى الحَليمي، والبيهقَي، وفي رأيهم هذا استغراب شديد!!! فقد رد كل من الخطابي والطِيبي والقاضي عِياض وابن حجر وابن كثير إلى أن هذا الحشر يكون في آخر عمر الدنيا حين تخرج النار من قعر عدن وتحشر الناس إلى بلاد الشام.

يقول ابن كثير في تفسير هذا الحديث الشريف: « **فهذه السياقات تدل على أن هذا الحشر هو حشر الموجودين في آخر الدنيا، من أقطار محلة الحشر وهي أرض الشام وأنهم يكونون على أصناف ثلاثة، فقسم يحشرون طاعمين كاسين راكبين، وقسم يمشون تارة ويركبون تارة أخرى، وهم يتعاقبون على البعير الواحد كما تقدم في الصحيحين، اثنان على بعير وثلاثة على بعير وعشرة على بعير، يعني يتعاقبونه من قلة الظهر كما تقدم، كما جاء مفسراً في الحديث الآخر، وتحشر بقيتهم النار وهي التي تخرج من قعر عدن فتحيط بالناس من ورائهم وتسوقهم من كل جانب إلى أرض المحشر ومن تخلف منهم تأكلهم النار كما تقدم**» .

وهذا كله يدل على أن هذا في آخر الدنيا حيث الأكل والشرب والركوب على الظهر المستوي وغيره، وحيث يهلك المتخلفون منهم بالنار.

ولو كان هذا بعد نفخة البعث، لم يبق موت ولا ظهر يسري ولا أكل ولا شرب ولا لبس في العَرَصات.

. . . ومما سيأتي فإن الحشر يوم القيامة للكافرين يكون بغير

هذه الطريقة الدنيوية حيث تتغير المفاهيم وتنقلب الموازين.

يقول تعالى: ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ٩٧]

فالحشر للكافرين على الوجوه والمشي على الوجوه، عمياً لا يرون وبكماً لا يتكلمون وصماً لا يسمعون، والذي أمشاهم على أقدامهم في الدنيا قادر على أن يمشيهم على وجوههم يوم القيامة.. فليس من بعير يوم القيامة ينقل الكافرين إلى جهنم، إنما يسيرون على وجوههم، مقرنين في الأصفاد تجرهم الملائكة إلى نار جهنم، وهذا ما سيأتي بيانه مفصلاً عندما يأتي الحديث عن يوم القيامة.

وأما الآن فإلى هذه الجولة العلمية، وآخر اكتشافات القرن العشرين العلمية، وحديث رسول اللَّه ﷺ والذي يتحدث فيه عن النار الهائلة التي تخرج من قعر عدن تحشر الناس إلى أرض المحشر بالشام، والذي كان السبب الرئيس في تأجيل الحديث عن هذه العلامة الكبرى إلى الجزء الرابع من سلسلة موسوعة الآخرة (الحشر وقيام الساعة).

والحديث العلمي المقصود وعلاقته بالحديث الشريف يتعلق بالبحر المسجور الذي ذكره اللَّه سبحانه في سورة الطور.

يقول تعالى: ﴿ وَٱلطُّورِ * وَكِتَـٰبٍ مَّسْطُورٍ * فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ * وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ * وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ * وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ﴾.

[سورة الطور، الآيات: ١ ـ ٦]

فهذه الآيات الكريمة بداية سورة الطور، وهي التي يقسم اللَّه تعالى فيها، والطور: أي أقسم بالطور فهذه الواو للقسم وهكذا إلى أن قال: والبحر المسجور: أي أقسم بالبحر المسجور، والبحر

المسجور لغةً: هو البحر المشتعل بالنار. . علماؤنا فيما مضى لم تكن لديهم أدوات يعرفون بها البحر المسجور، ولم تكن لهم تلك التكنولوجيا المعاصرة ليكتشفوا سر هذه البحار المسجورة أي المشتعلة بالنار. . ولما أراد اللَّه سبحانه أن تكتشف البشرية هذا الإعجاز الإلٰهي وسر قَسَمه بالبحر المسجور واللَّه لا يقسم إلا بعظيم وموجود. . والبحر المسجور موجود ولكن أين؟ وهذا العلم اليوم يدلنا أين هو، وكيف تم الاكتشاف، فعرفنا سر الآية الكريمة ﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ﴾، وكذلك حديث رسول اللَّه ﷺ: «**ستخرج نار من أرض عدن تحشر الناس إلى أرض المحشر**».

والجواب من كتاب (آيات اللَّه في البحار) للباحث ماهر أحمد الصوفي مؤلف موسوعة الآخرة والحاصل على موافقة مَجْمع البحوث في الأزهر الشريف شهر فبراير ١٩٩٦ م، ونقدم التفسير كاملاً لتتم الفائدة الإيمانية والعلمية وإن طال التفسير قليلاً، ولكن الفائدة عظيمة ومفيدة جداً حيث نعيش مع إعجاز القرآن الكريم وإعجاز رسول اللَّه ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي من اللَّه يوحى إليه، ونستفيد من هذا البحث العلمي في قيام الساعة والتي نحن بصددها وبصددِ دراستها في هذا الجزء من موسوعة الآخرة.

البحر المسجور وعلاقته بالعلامة الكبرى الأخيرة

عند بداية الاكتشافات البحرية استغرب العلماء هذه الظاهرة الغريبة بوجود أخاديد في أعماق البحار تخرج منها النار والدخان؛ وكانت هذه الاكتشافات البحرية تتوافق تماماً مع الاكتشافات الأرضية، وكان كل من علماء جيولوجية الأرض وعلماء البحار يعملون معاً وفي نفس اللحظة، وكل في اتجاه علمي خاص به.

ولما تقدم العلم وكثرت النظريات العلمية التطبيقية، وجدوا أن تلك الحمم والبراكين والصدوع والشقوق الموجودة على سطح الأرض مهمتها جميعاً حفظ توازن الكرة الأرضية. وبما أن البحار تشكل أربعة أخماس الكرة الأرضية، وهي الجزء الأكبر من الأرض، فمن الطبيعي أيضاً وجود صدوع وشقوق وأخاديد في قاع البحار، مَهمتها أيضاً التنفيس عن تلك الحمم التي تغلي في أعماق الكرة الأرضية[١].

عرفت البشرية وبعد تجارب كثيرة جداً وعلم ومعرفة واختراعات وأدوات، وأقمار صناعية وتلسكوبات كبيرة دقيقة وغواصات. . . . بوجود هذه الأخاديد النارية في قاع البحار والمحيطات، وبعد جهد وعلم عرفت أيضاً أن هذه الأخاديد ضرورية جداً، لأنها هي التي تحمي الأرض من الانفجار والغليان، وهي التي تُنفث عن باطن الأرض الذي

(١) راجع كتاب المعرفة «البحار والمحيطات» الهيئة العامة للكتاب ـ القاهرة.

يشكل حمماً بركانية تغلي غلياناً عظيماً تريد الخروج من مكانها الضيق، ولكن اللَّه جعل بها نفاثات طبيعية لتهدِّئ من غليانها ومن ثورتها الهائلة، نعم لقد علموا سرَّ وجود تلك الأخاديد بعد عشرات من السنين كانوا فيها دائبين مجدين في البحث والدراسة.

ولكن هذه الأخاديد التي تسَجّر البحر، عرفت فقط حينما اكتشفوها، أما هي فموجودة منذ ملايين السنين منذ أن خلق اللَّه الأرض وبحارها.

نعم إنها موجودة، فإن كان العلماء قد اكتشفوا هذه الأخاديد الآن فهذا لا يُنكر ولا يُجحد لأنها موجودة بقدرة اللَّه منذ خلق اللَّه الكرة الأرضية.

إذاً اللَّه هو العالِم الأول والآخر، وبما أن اللَّه يعلم بهذا منذ الأزل، أخبر نبيه محمداً ﷺ بهذا منذ ١٤٢٣ سنة حيث لم تكن العلوم قد اكتشفت، إذ كانت البشرية تعيش قِمة الجهل العلمي.

يا سبحان اللَّه. وكما قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٢٥٥]

ولولا وعد اللَّه الذي لا يخلف ميعاده بقوله: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾.

[سورة فصلت، الآية: ٥٣]

لما علّمهم وساعدهم حتى يتوصلوا إلى اختراع تلك الأدوات التي تساعدهم في الاكتشاف والاطلاع.

والذين اكتشفوا تلك العلوم وتلك الأخاديد التي تخرج من قاع البحار ورأوها وصوروها، لا يعلمون شيئاً عن القرآن الكريم، ولا

يعلمون أن اللَّه سبحانه وتعالى أقسم بالبحر المسجور في كتابه الكريم منذ أكثر مِن ١٤٢٣ سنة أي البحر الذي تخرج من قاعه الحمم، والقسم في هذه الآية تأكيد مطلق من اللَّه سبحانه وتعالى على وجود البحر المسجور الذي تخرج من قاعه أخاديد النار، وهذا القسم بوجود البحر المسجور الذي يعلم اللَّه أن البشرية ستكتشفه في يوم من الأيام، هو حجة قوية وقاطعة على المكتشفين، للدلالة على عظمة اللَّه سبحانه والدلالة على صحة القرآن الكريم كي يؤمنوا به ويصدقوه، وإن لم يفعلوا فقد بيَّن اللَّه لهم الحق، وأن كتابه حق وأن رسوله محمداً ﷺ حق. فالإنسان اكتشف فقط الشيء الموجود بقدرة اللَّه ولا علاقة له بهذا ولا حول له ولا قوة، فلا تستطيع البشرية كلها لو اجتمعت على إغلاق تلك الأخاديد الملتهبة وفتحها، لأن علمنا محدود. هذه الأرض التي نعيش عليها و٨٠٪ من العلوم تتجه إلى معرفة الأرض والبحار وأسرارهما، وستقوم الساعة ولا نعلم من أمرها إلا ما شاء اللَّه، وسيبقى الكثير خافياً على البشرية. نعم إن جميع البحار تُسجَّر ولقد اكتشفوا أن التسجير يختلف من بحر إلى بحر، يقوى في مكان ويضعف تقريباً في مكان، كفُتُحات البراكين على الأرض اليابسة موجودة في كثير من مناطق العالم وهي ليست مقصورة على مكان دون مكان، وإن كانت تكثر في مكان كما في اليابان، وأيضاً تكاد تنعدم في مناطق كثيرة من العالم، وتقدير وجودها يعود إلى الخالق، فلا أحد يعرف أين مواقع الانفجار البركاني في داخل الأرض أو في أعمق أعماقها؟ ولا أين يشتد غليان وانصهار الحمم في باطن الأرض؟

وما ينطبق على الأرض اليابسة ينطبق على البحر، فقد وجدوا أن أكثر بحار العالم تسجيراً هو البحر الأحمر، لأن الأخاديد التي

تخرج منها النار تمتد من شماله حتى جنوبه بطول البحر الأحمر من السويس حتى باب المندب، ولاحظوا أن تلك الأخاديد والفتحات والشقوق تزداد كلما اقتربنا من الجنوب باتجاه باب المندب عند مدينة عدن «**حضرموت**» عند المنطقة الفاصلة ما بين البحرين المالحين البحر الأحمر والمحيط الهادئ، والتي تمت دراستها دراسة مستفيضة من قبل البعثات العلمية من شتى أنحاء العالم.

وضوح إثبات ما قاله محمد ﷺ وأن ما أخبر به محمد ﷺ لا يمكن أن يكون إلا بوحي من اللّه. . .

نعم فكثير من مفسري القرآن الكريم كالسيوطي في تفسير الجلالين والزمخشري والفخر الرازي كانوا إذا مروا بهذه الآيات يحاولون تفسيرها قدر ما يستطيعون وفق ما لديهم أو ما يقدرون عليه، وليس هذا عجزاً منهم أو قلة معرفة ولكن لم تشأ الإرادة الإلهية. . في زمنهم كشف هذه الآيات لعلم يعلمه اللّه، فاعتمدوا في تفسيرها على المعاني اللُّغوية عسى أن توصلهم إلى شيء، ولكن المشكلة كانت ليس بمعرفة البحر المسجور فقد قالوا عنه البحر الذي تشتعل فيه النار، رغم أن السيوطي في تفسير الجلالين قال عن البحر المسجور: البحر الممتلئ بالمياه. وقال غيره: إنه بحر في السماء.

وقالوا عن البرزخ في: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ إنه حاجز موجود بقدرة اللّه ولكن. . . ليست المعرفة كشرح اللغة، فشرح المفردات أمره يسير ولكن المهم معرفة ما هو البرزخ كحقيقة ومادة ملموسة، وهذا ما اكتشفه العلم الآن والحمد للّه، وتقدير زمن المعرفة تقدير من اللّه سبحانه وتعالى.

والبحر المسجور الذي أقسم اللّه به لأهميته موجود فعلاً لأن

اللَّه لا يقسم بشيء غير موجود ولا يقسم إلا بعظيم، والأخاديد وفتحات النار وتسجير البحر رأيناه رأي العين، وعرض على أجهزة التلفاز في كثير من دول العالم، ومنها تلفاز جمهورية مصر العربية الذي عرض برنامجاً عن البحار لعالم البحار كوستو يوم ١٤/ ٥/ ٩٥م وكان عرضاً رائعاً يصور قدرة اللَّه في أعماق البحار وتلك الأخاديد التي تقذف تلك الحمم، والحمد للَّه أننا رأينا قدرة اللَّه بأنفسنا، وأتاح اللَّه لنا هذا من خلال ما هيأ لعباده في الأرض من صناعة أدوات تصوير وغطس لتقَرَّ أعيننا وتفرح بصدق كتابنا، كتابِ اللَّه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، نعم ستأتي آيات اللَّه فنعرفها كما وعد اللَّه، وكما حقق اللَّه النصر للروم من خلال وعده للمؤمنين الذين حزنوا على انتصار الفرس على الروم في زمن رسول اللَّه ﷺ بقوله:

﴿الٓمٓ * غُلِبَتِ ٱلرُّومُ * فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ * فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾.

[سورة الروم، الآيات: ١ ـ ٤]

فأخبرهم اللَّه عن المستقبل القريب.

وصدق اللَّه وعده، وها نحن يصدقنا اللَّه وعده: ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ﴾.

[سورة فصلت، الآية: ٥٣]

وهذه آيات اللَّه على لسان نبيه محمد ﷺ النبي الأمي يرونها بأعينهم فإن لم يؤمنوا بها فهي الحجة عليهم لإدانتهم يوم القيامة.

وإذا درسنا هذا الموضوع: موضوع البحر المسجور وحقيقة

وجود الأخاديد والفتحات التي تخرج منها النار والدخان واللَّهب التي أصبحت واقعياً علماً مدروساً ومصوراً، والتي ذكرها القرآن الكريم، فإننا نعيش مع الحقيقة من خلال هذه الحقائق:

١ ـ هل كان محمد ﷺ الناقل للقرآن الكريم أستاذاً محاضراً في علم البحار ليدلي بهذه المعلومات العلمية الصحيحة.

٢ ـ الأخاديد موجودة في قاع البحار بعمق يصل أحياناً إلى عشرة كيلو مترات فكيف وصل محمد ﷺ إلى هذا القاع ليخبرنا عن تلك الأخاديد ويطلعنا أن هناك بحراً مسجوراً.

٣ ـ فالعلم يقول: إن الإنسان لا يستطيع أن يصل إلى عمق أكثر من ثلاثين متراً، وإذا حاول الإنسان أن ينزل أكثر من ذلك فإن غاز النايتروجين في الدم يفور كما تفور زجاجة المياه الغازية، وذلك من ضغط الماء على الجسم، وعليه فإن الدم يخرج من كل فتحة في الجسد ويكون الموت المحتم خلال دقائق من جراء التمزق الجسدي.

٤ ـ هل كان في زمن محمد ﷺ أدوات غوص وغواصات تسير في قاع البحار ليخبرنا عن البحر المسجور ويقسم به تأكيداً لوجوده.

٥ ـ هل كان في زمن محمد ﷺ علماء متخصصون في علم البحار ليأخذ منهم هذه المعلومة عن البحر وقاعه؟ كلا فإن النخبة من البشرية كانوا يعيشون في جهل مُطْبِق بعيداً عن أي نوع من أنواع العلوم الحضارية التي نعيشها الآن.

٦ ـ ثم إن محمداً ﷺ لو كان رجلاً عادياً غير مرسل وادعى النبوة فلا يمكن مطلقاً أن يقحم نفسه بالكلام عن الآفاق والأرض والبحار، ولا يمكن أن تخطر على باله ولا يمكن أن يسبق عصره بآلاف

السنين، فهل يستطيع أحدنا رغم كل هذه العلوم الجبارة في عصرنا هذا أن يتكلم عن علوم تكتشفها البشرية مجتمعة بعد ألف أو ألفي عام بأنها صحيحة وبمنتهى الدقة، فالمنطق يقول: لا، ولكن المنطق في موضوعنا هذا يقول: نعم لأن المتحدث بهذه الآيات هو اللَّه الذي خلق بنفسه وقدَّر بنفسه وهو الذي يعلم غيب السماوات والأرض (١).

وما يهمنا في موضوع البحر المسجور حديثان لرسول اللَّه ﷺ، يتحدث فيهما عن بعض علامات قيام الساعة وقرب قيامها، قال عليه الصلاة والسلام:

«**لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى الشام**». أخرجه مسلم في صحيحه.

وقال رسول اللَّه ﷺ:

«**ستخرج نار من أرض عدن قبل القيامة**، قالوا: فما تأمرنا يا رسول اللَّه؟ قال: **عليكم بالشام**». أخرجه الترمذي عن ابن عمر وقال: حديث حسن صحيح.

وقبل أن أدخل في تفصيل وبيان الحديثين لا بد لي أن أقول: لو أن محمداً ﷺ يتكلم من ذاته دون إلهام ووحي من اللَّه، وليس هناك تنزيل ولا قرآن ولا جبريل، فهل يعقل أن يتكلم ﷺ بهذا الأسلوب ويأتي بأحاديث تثير العجب والشك؟ فلقائل أن يقول: ما لمحمد ﷺ وما لمدينة عدن تخرج نار منها أم لا فهذا لا يفيد دعوته بشيء إن كان

(١) قال العالم الجيولوجي المشهور (الفريد كرونر): «إن الوسائل العلمية الحديثة الآن يمكنها وبكل وضوح إثبات ما قاله محمد ﷺ وأعتقد أن ما أخبر به محمد ﷺ لا يمكن أن يكون إلا بوحي من اللَّه».

غير صادق، وإن كان محمد ﷺ غير صادق - وحاشا للرسول ﷺ أن يكذب - فلا بد أن يتحدث فقط عن الحياة المادية التي أمامه؛ ليكون المسيطر على مقدرات الناس والعمل من خلال ما يعلمون فقط، ليكسب منهم أكثر ويتمتع هو بحياته الدنيا، لأنه حينئذ لا يكون له علاقة مع اللّه في شيء.

إذاً فالحديث يشير إلى أن ناراً تخرج من قاع أرض عدن تحشر الناس إلى بلاد الشام، والنار التي تخرج من الحجاز تضيء لها أعناق الإبل في بُصرى الشام، وهذان الحديثان يشيران إلى أن تلك النار ستكون قوية جداً أو ملتهبة، وتصل في ارتفاعها إلى آلاف الأمتار في السماء، وذلك كي يصل نورها إلى آلاف الأميال إلى بصرى الشام، وقطعاً النار التي تحشر الناس من اليمن إلى الشام هرباً منها ومن لهيبها، لا بد أن تكون هائلة وقوية جداً، وهذه حتمية منطقية عقلية.

ونعود إلى أخاديد النار في البحر المسجور التي تزداد كثيراً جداً كما قال علماء البحار عند باب المندب، والمدينة الواقعة على رأس باب المندب هي عدن، إذاً عدن تقع عند نقطة ازدياد أخاديد النار في البحر الأحمر.

ولنربط الآن بين القرآن الكريم وأحاديث رسول اللّه ﷺ، فاللّه سبحانه وتعالى يخبرنا في القرآن الكريم في سورة الطور عن البحر المسجور وقد اكتشفناه ورأيناه بما هيأ اللّه لنا من علم.

والرسول ﷺ يتحدث عن نار تخرج من أرض عدن لقوتها وارتفاعها تحشر الناس إلى بلاد الشام.

نفهم من حديث رسول اللّه ﷺ أن هناك وتحت مدينة عدن ناراً

هائلةً ولكنها كامنة تنتظر أمر ربها بالخروج، وبما أننا اكتشفنا هذه الأخاديد في قاع البحر والملاصق لمدينة عدن فإن الحديث مع الآية القرآنية بينهما تقارب كبير، إذاً النار التي ستخرج من أرض عدن موجودة بعلم اللَّه، فمن أخبر محمد ﷺ عنها وكلنا يعلم أنه في زمن محمد ﷺ لم يكن علم ولا علماء عن طبقات الأرض ولا شيء عن جيولوجية الأرض ألبتة، والعلم لا يعتمد في قوله على مجرد التخمين والحدْس، ولكنه يعتمد على الرؤية الصحيحة والدليل القاطع، وبما أن محمداً ﷺ لا يملك الدليل العلمي القاطع الملموس والمحسوس على حديثه هذا بخصوص عدن والنار التي تحتها، فلا بد أن يكون الكلام من لدن عليم علَّمه وخبيرٍ خبَّره وحكيم أرشده، وآتاه الحكمة وفقهه في القول والعمل.

وصدق اللَّه حينما قال: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۞ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۞ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۞ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ﴾.

[سورة النجم، الآيات: ٣ ـ ٦]

فمن علَّمه؟ علمه القادر المقتدر اللَّه الذي عنده علم كل شيء ولنعد الآن إلى علماء الأرض وعلماء الجيولوجيا في عصرنا هذا عصر بداية القرن الواحد والعشرين وبعد ١٤١٥ سنة من حديث رسول اللَّه ﷺ نعود إلى هؤلاء العلماء الذين أشبعوا طبقات الأرض دراسة وتحليلاً في أنحاء الكرة الأرضية، بما يملكون من أسباب العلم والقوة والأدوات الجبارة في معرفة الأشياء. وأعظم الاكتشافات خلال الربع الأخير من القرن العشرين هو السفن الطائرة والمركبات الفضائية التي قدمت للإنسان أكبر خدمة علمية ظهرت على الأرض.

ولنسمع ما يقوله علماء الجيولوجيا. يقولون:

إن مدينة عدن تعيش فوق بركان هائل من النار قابل للانفجار في أي لحظة.

لذا فإن بعض علماء الجيولوجيا ينصحون سكان مدينة عدن بمغادرتها خوف الانفجار الهائل الذي يُنتظر وقوعه في أية لحظة.

اللَّه أكبر اللَّه أعلم، اللَّه أقدر اللَّه عنده العلم من قبل ومن بعد، فإن هذا النبي الأمي أخبرنا عن طبقات الأرض دون دراسة جيولوجية ولا أدوات ولا أقمار ولا مراكب فضائية.

فهل خَبَرَ أساتذة الجيولوجيا وعلم طبقات الأرض ما قاله نبينا محمد ﷺ عن عدن وعن بركانها وعن النار التي ستخرج منها حتماً منذ ١٤٢٣ عاماً.

إنهم لم يخبروا ولم يعلموا، ولكننا نحن المؤمنين المسلمين نربط ما يكتشفون بما عندنا من كتاب اللَّه وحديث رسوله الكريم ﷺ.

والسؤال من أين عَلِمَ محمد ﷺ أنه ستخرج نار من أرض عدن تحشر الناس إلى أرض المحشر؟

نعم علّمه اللَّه وأنطقه فهو الذي عنده علم كل شيء.

هل يشهد أحدٌ أو يؤكد أنه كان يوجد في زمن النبي محمد ﷺ أي علم ولو كان يسيراً عن الأرض سواء أسطحها أم باطنها؟

طبعاً لا يوجد ولو كان موجوداً لسمعنا به وظهر ما سكت عنه التاريخ.

علوم طبقات الأرض من أدق العلوم وأصعبها وهي التي لا تزال مستعصية في كثير من جوانبها على العلماء، ولا يزال البحث جارياً رغم دقة كل الآلات التي اكتشفوها في بدايته.

مع هذا فإن رسول اللَّه ﷺ يخبرنا عن باطن أرض تصل إلى مئات الأمتار أن فيها ناراً عظيمة ستظهر في زمن يريده اللَّه، إنه علم إلٰهي عظيم لم يكتف بإخبارنا عن النار التي في جوف عدن، ولكنه يحدد متى خروجها، إنه سيكون قبل يوم القيامة علم على علم ومعرفة كاملة من قدرة إلٰهية كاملة.

كتاب اللَّه يخبرنا عن البحار المسجورة، ورسول اللَّه ﷺ يخبرنا عن الأرض المسجورة التي تنتظر أمر اللَّه بالخروج، خبران تَمَّ اكتشافهما للبشرية وأثبتا صحة القرآن الكريم وصدق رسول اللَّه ﷺ.

ربط اللَّه العلم بالقرآن الكريم الذي حكم عليه أنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

وربط العلم برسوله محمد ﷺ الذي قال عنه اللَّه عز وجل في كتابه الكريم: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ وأكد على صحة كل ما يقوله رسوله ﷺ بقوله: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾.

[سورة الحشر، الآية: ٧]

فلو أن اللَّه يعلم أن رسوله ﷺ تكلم في أمور حياتية سواء أكانت شرعية أم فقهية أم علمية فيها خطأ أو بعض خطأ لما قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ فهو الذي يعلم أن رسوله ﷺ لن يأتي إلا بالصحيح ولا ينطق إلا بالحق.

وللعلم فإن عشرات المحطات الفضائية في العالم عرضت برامج تصور فيها مجاهل وأعماق البحار عرضت فيها صور تلك الأخاديد والفُوَّهات والفُتحات التي يخرج منها لهب ونار وحمم،

وقد رأيت بعضها بنفسي، وهذه الأخاديد وكأنها تسجِّر البحر أيضاً استعداداً ليوم القيامة كما قال تعالى في علامات يوم القيامة: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾.

[سورة التكوير، الآية: ٦][١]

ولقد تم تصوير هذه الأخاديد والفُوَّهات النارية عن طريق الكاميرات الحديثة الموضوعة في غواصات مائية مخصصة للعلم والعلوم[٢].

---

(١) للسير «جيمس جينز» الأستاذ بجامعة كمبردج قول مشهور عن محمد ﷺ يقول: «إن الأمور العلمية التي كشفت عنها دراستي ومشاهدتي خلال خمسين سنة من أنبأ محمداً بها».

(٢) آيات الله في البحار للباحث ماهر أحمد الصوفي.

قيام الساعة

مَـدْخـل:

. . . ليس قيام الساعة أمراً مرتبطاً بالإنسان على هذه الأرض فحسب، إنما أمرها مرتبط مع هذا الكون كله بجميع مخلوقاته وبكل سماواته السبع . . . فإذا ما أراد اللّٰه سبحانه بعلمه قيام الساعة، فمعنى هذا موت كل الخلائق، وفي ذات الوقت وبآن واحد من خلال نفخة الصعق التي يطلقها إسرافيل عليه السلام من بوقه، فالأمر عظيم وكبير جداً وأكبر مما تتخيل عقولنا بكثير، فنحن لا نعلم شيئاً عن السماوات وساكنيها ولا عن المخلوقات التي تعيش فيها.

قال تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾.

[سورة يس، الآية ٣٦]

وهل يوجد خلق آخر في السماوات يعيش على أرض مثل أرضنا تقوم الساعة عليهم كما تقوم علينا؟ أم خلق اللّٰه سبحانه في السماوات هم الملائكة فحسب؟ فاللّٰه سبحانه يقول في كتابه الكريم إنه خلق سبع سماوات وخلق من الأرض أي (مثل أرضنا التي نعيش عليها) سبعاً مثل السماوات.

يقول تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴾.

[سورة الطلاق، الآية: ١٢]

فاللَّه سبحانه وحده يعلم دورة هذا الكون، ويعلم دورة حياة مخلوقاته في هذا الكون العظيم، الذي تتجاوز مجراته، وفي السماء الأولى فقط آلاف المليارات من المجرات، وكل مجرة فيها كما قال علماء الفلك ما يزيد عن مائتي مليار كوكب ونَجم ولا ندري ماذا في السماء الثانية والثالثة إلى السابعة.

يقول تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ *وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾.

[سورة الواقعة، الآيتان: ٧٥، ٧٦]

ـ فملك اللَّه سبحانه لا تحده حدود وليس لا تساعه نهاية وما تحويه هذه السماوات السبع من المخلوقات هي بعلم اللَّه، وما فيها من خلقه من الملائكة بعلمه وحده لا يستطيع أحد حتى البحث في هذا الأمر، لأنه سبحانه اختصه لنفسه.

قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾.

[سورة المدثر، الآية: ٣١]

وكل هؤلاء الإنس والجن والملائكة والخلق الذين لا نعلمهم في قوله: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ستقوم عليهم الساعة في آن واحد وفي وقت واحد، يصعقون صعقة واحدة لا تفرق بين أحد منهم مهما عظم خلقه كالملائكة عليهم السلام.

... لذلك كان كل الأقوام الذين لا يعلمون عن هذا الأمر العظيم وهذه الساعة التي ستغير حال الكون بأسره، وبمن خلق فيه عبر ملايين السنين، يتحدون أنبياءهم الذين أرسلهم اللَّه إليهم أن يأتوا بالساعة والعذاب اللّذيْن يتحدث عنهما الرسل والأنبياء.

... فهم يتصورون أن الساعة أو العذاب كائن في قريتهم التي

يعيشون فيها كقوم عاد وثمود وفرعون وأصحاب الرس وغيرهم.

. . . فكلما تحدث نبي من أنبياء هذه الأقوام عن أن الدنيا دار ابتلاء وامتحان وأن هنالك ـ اليوم الآخر ـ وأنه ستقوم الساعة ويجمع اللَّه الأقوام للحساب. . . كانوا جميعاً يقولون: فأتنا بما تعدنا! وأين الساعة التي تقول؟

يقول تعالى على ألسنة تلك الأقوام: ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾.

[سورة الأحقاف، الآية: ٢٢]

ويبيِّن اللَّه سبحانه لنا في كتابه استعجال هؤلاء الأقوام قيام الساعة الناتج عن عدم إيمانهم باللَّه تعالى وبِرسله ولا بقيام الساعة ولا يوم القيامة

يقول تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ * يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴾.

[سورة الشورى، الآيتان: ١٧، ١٨]

ويقول تعالى: ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾.

[سورة الحج، الآية: ٤٧]

فقد وصفهم اللَّه بالضلال البعيد أي بالجهل المطلق، وتكذيبهم لقيام الساعة ما هو إلا نتيجة عدم المعرفة والعلم. . . ولو أن فيهم قليلاً من الفكر والعلم لعلموا أن هذه الحياة الدنيا لا يستقر لها حال، وليست هي إلا داراً مؤقتة خلقها اللَّه تعالى دار ابتلاء وامتحان، ولا بد أن يجمع اللَّه تلك الخلائق التي تموت تباعاً ليوم الحساب.

. . . لقد كانوا لا يملكون اليقين لقيام الساعة، ويعيشون بالظن الفاسد بمن فيهم مشركو مكة والجزيرة العربية.

يقول تعالى على ألسنة هؤلاء المكذبين الضالين الظانين بالله ظنّ السَّوء: ﴿ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴾.

[سورة الجاثية، الآية ٣٢]

قيام الساعة أمْــرٌ...
ويوم القيامة أمــرٌ آخر

قيام الساعة أمر مختلف عن يوم القيامة، لذا جعلت قيام الساعة في جزء خاص وأسميته (الحشرُ وقيام الساعة).

فيوم القيامة يبدأ من أول حشر الناس وجمعهم على أرض المحشر.

... لذلك فكل الأحداث العظام التي تتم قبل الحشر على أرض المحشر مرهونة بقيام الساعة، وتدخل في مجالها نفخة البعث حيث يبعث الناس جميعاً من قبورهم في الأرض، وهذه المرحلة لا تزال تتبع الحياة الأرضية، لأن البعث يكون من الأرض ثم ينقلنا اللَّه سبحانه بقدرته إلى أرض المحشر والتي يقف الناس عليها حفاة عراة غرلاً خاشعين للَّه راجين عفوه ورحمته.

فإذا قامت الساعة بدأت الأهوال، والأهوال كلمة مشتركة ما بين قيام الساعة ويوم القيامة، ونستطيع أن نقول: أهوال قيام الساعة، وأهوال يوم القيامة... فللساعة أهوال وأمور عظام بين فزع ورعب وخوف يحطم كل الصور الدنيوية، والتي كان الناس يعيشون فيها برخاء وأمان، محفوظين من قِبَل اللَّه سبحانه حتى ينتهي امتحانهم في هذه الحياة الدنيا سواء أكانوا مؤمنين أم كافرين.

يقول تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾.

[سورة الشورى، الآية: ٦]

فاللَّه سبحانه صبر عليهم في الدنيا، صبر على كفرهم ومعاصيهم ومجونهم وفسقهم وضلالهم حتى يأتي اليوم الموعود والوعد الحق من اللَّه سبحانه، ولو أن اللَّه سبحانه يؤاخذ الناس على ما يفعلون في هذه الدنيا من الكفر والمعاصي لما ترك على ظهر هذه الأرض من أحد من الخلق.

يقول تعالى: ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ ﴾ .

[سورة فاطر، الآية: ٤٥]

ولكن اللَّه سبحانه صبور، ووصف نفسه بالصبور، ومن أسمائه الحسنى الصبور، ولم يأخذ اللَّه سبحانه أحداً من الأقوام بالعذاب إلا بعد أن أعطاهم في الدنيا كل الفرص للعودة إلى اللَّه وإلى الطريق المستقيم، فلقد صبر اللَّه سبحانه على قوم نوح قرابة ألف عام، ومات منهم جيل وخلق جيل آخر ثم مات هذا الجيل وخلق غيره، ولم يجد منهم نوح عليه السلام إلا كل استكبار وضلال.

يقول تعالى على لسان نوح: ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا * إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ .

[سورة نوح، الآيتان: ٢٦، ٢٧]

ومع ذلك صبر اللَّه عليهم ما يزيد على عشرة أجيال وهم لا يزدادون إلا كفراً وفجوراً. . نعم إنه الصبور. . وما نشاهده اليوم في جميع أنحاء الدنيا من ضلال وفسق ومعاص وكفر وشرك، وأصحاب هذه الموبقات والمقحِمات يعيشون بأمن وأمان ورغد من العيش الهني، ويتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام بصبر اللَّه سبحانه عليهم.

يقول تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾.

[سورة إبراهيم، الآية: ٤٢]

ويقول تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ١٧٧]

هكذا قضت سنة اللَّه سبحانه وهو أعلم بخلقه وكونه وسماواته وجناته وناره.

قال تعالى: ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

[سورة فصلت، الآية: ٤٠]

ويقول تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾.

[سورة الكهف، الآية: ٢٩]

ويقول تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾.

[سورة الشورى، الآية: ١٤]

ولكن اللَّه سبحانه قضى أن للناس موعداً لا مهرب منه ولا مناص ولا خلاص بعد هذا الصبر، لن يجدوا منه مخرجاً ولا إنظاراً ولا مفراً وهو قيام الساعة ويوم القيامة. يقول تعالى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا﴾.

[سورة الكهف، الآية: ٥٨]

لذلك حق على هؤلاء الكفرة العصاة تلك البطشة الكبرى عند

قيام الساعة، ولكل أولئك الذين صبر اللَّه عليهم في الدنيا وصبر على كفرهم ومعاصيهم.

يقول تعالى: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾.

[سورة الدخان، الآية: ١٦]

هذه البطشة الكبرى التي تتشقق لها السماوات وتتزلزل الأرض وتُدك الجبال وتُسعَّر البحار بالحمم... لا بد من نظرة علمية خاصة لتلك السماوات، لندرك يقيناً ماذا يعني قيام الساعة؟ وما تعني السماوات؟ وما هي قدرة اللَّه سبحانه في تلك السماوات؟ من قبل أن ننتقل إلى الحديث عنها في الأرض ومنها ندرك عظمة اللَّه سبحانه ومن هو الإِله المعبود الذي نعبده.

ولندرك عظمة قيام الساعة وأنها ليست مقصودة لهذه الأرض وساكنيها وحدهم بل تشمل الكون كله وأن اللَّه سبحانه وعد أنه سيبدل هذا الكون كله بعد قيام الساعة.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾.

[سورة إبراهيم، الآية: ٤٨]

فلننظر في عظمة هذا الكون وندرك عظمة هذه السماوات وما تحويه من آلاف المليارات من المجموعات الشمسية وآلاف المليارات من المجرات. فإذا ما أدركنا عظمة اللَّه سبحانه في هذه السماوات التي يعتبر إنهاؤُها وتفجيرها جزءاً من قيام الساعة، أدركنا عظمة قيام الساعة وبداية عهد جديد في عالم جديد عالم يوم القيامة وعالم سماوات وأرض جديدة.

فإلى عالم السماوات كما بيَّنه لنا علم الفلك اليوم بواسطة أحدث الأدوات التكنولوجية والأقمار الصناعية والتلسكوبات، والحديث مأخوذ من كتاب (من آيات اللَّه في السماء) للباحث ماهر أحمد الصوفي والذي طبع وتمت الموافقة عليه من مجمع البحوث في الأزهر الشريف ٢٠ / ٤ / ١٩٩٦.

السماء الدنيا والسماوات السبع من منظور علم الفلك الحديث وبيان قدرة اللَّه تعالى وعظيم كونه وسماواته

قبل أن أتحدث عن خلق السماوات والأرض لا بد من أن أعلم شيئاً عن السماوات وما فيها من نجوم وكواكب، وأعلم شيئاً عن الأبعاد والحجوم، وذلك حتى أدرك معنى خلق السماوات والأرض وأرى عظمة الخلق والخالق.

خلق السماوات والأرض ونشأة الكون وبدايته أمر عظيم شغل الناس في القرون الماضية ولم يصلوا إلى شيء.

وشغل علماء الأرض في هذا القرن ووضعت له الدول كل ما تملك من إمكانيات، ولم تبخل على هذا العلم (علم الفلك) بشيء، وما تتكلفه الدول في صناعة سفينة فضائية واحدة يكفي لإعمار حي بأكمله، ومع ذلك فهم لا يبخلون على هذا العلم بشيء أبداً لما له من الأهمية العظمى.

فقد حيرتهم السماء منذ مئات السنين، ولم تستطع البشرية أن تضع قانوناً ونظرية ثابتة في نشأة السماء وبدايتها، كل ذلك ما يزال رغم مئات النظريات محضَ آراء قابلة للتغيير والتبديل، وهذا هو ما يحدث تماماً في هذه الأيام.

فلو أن السماء لا تحوي سوى الشمس وكواكبها التسعة (الزُّهَرة والمِرِّيخ وعُطارد والأرض والمشتري ونبتون وبلوتون وزُحَل وأورانيوس) لعلموها واكتشفوها منذ زمن بعيد فأراحوا واستراحوا، ولكن الذي في السماء المنظورة للعين المجردة آلاف النجوم ولا نتكلم عن غير المنظور، وهو الجانب الأكبر في السماء، والذي يحتوي مليارات المجرات والتي تحوي في داخلها مليارات المجموعات الشمسية المشابهة لمجموعتنا الشمسية هذه.

فالآية القرآنية الكريمة تتحدث عن خلق السماوات والأرض، والسماوات كلمة واحدة ولكن تحوي في داخلها قدرة لا تستطيع العقول وبما تملك من مواهب وعلم أن تدرك كنهها.

فما معنى السماوات؟ هي جمع ومفردها سماء والسماء الأولى هي السماء الدنيا التي تقع فيها مجموعتنا الشمسية، والأرض التي نعيش عليها تابعة لهذه المجموعة الشمسية، وما هذه المجموعة إلا واحدة من آلاف المليارات من المجموعات الشمسية التي تسبح في السماء الدنيا.

أيوجد في السماء الثانية والثالثة حتى السابعة ما هو موجود في السماء الأولى من نجوم وكواكب وأقمار ومذنبات؟ أم في كل سماء علم آخر وحياة أخرى وأمر آخر وقدرة إلٰهية؟

وهل السماء الأولى (السماء الدنيا) هي هذه النجوم والكواكب والمجرات فقط؟ أم ما نراه وما اكتشفه العلم هو مجرد بداية السماء الأولى فقط؟

وهل السماء الدنيا وهذا الاتساع الذي لا نهاية له حسب علومنا، بحجم السماء الثانية؟ أم هي بالنسبة إليها لا تشكل إلا

كحصاة في بحر؟ وهل السماء الثانية هي بحجم السماء الثالثة أم الأخرى لا تشكل بالنسبة للسماء الثالثة إلا كحبة رمل في جبل؟

فإذا كان بعض العلماء في علم الفلك يقولون: « **إن ما اكتشفناه وعلمناه حتى هذه الساعة عن السماء الأولى لا يتعدى أن يكون فلزات للسماء الأولى** »، وعالم آخر يقول: « **على الرغم من كل هذه الاكتشافات الهائلة في علم الفلك واكتشاف مليارات المجرات ودروب المجرات والعناقيد المجرية فإننا لا نزال في بداية الطريق!** »[١].

فالعين المجردة هيأها اللّه لترى ولمسافة مليوني سنة ضوئية، فكل النجوم التي نراها في السماء بواسطة أعيننا المجردة لا تبعد عن مركز الأرض أكثر من مليوني سنة ضوئية[٢].

وآخر ما توصل إليه العلم منذ سنوات صناعة تلسكوب استطاع به العلماء أن يروا في السماء لمسافة عشرات الملايين من السنوات الضوئية.

ومع هذا فإن مِساحاتٍ هائلةً من السماء لم يجد العلماء أي أثر لخلق مجرات ونجوم، وظنوا أنها منطقة خالية، وأعلنوا ذلك لأن أعلى وأدق وأكبر مراكزهم العلمية لم يعطهم أي إشارات عن وجود أي شيء آخر، وهنا ظن معظمهم أنهم وصلوا إلى نهاية المطاف. إذاً لا بد لنا أن نبحث عن كون آخر فها نحن قد وصلنا إلى نهاية السماء تماماً، ولكنهم رجعوا عن هذا الظن مرة أخرى واعترفوا بشيء آخر، وذلك حينما اخترعت أمريكا التلسكوب الهائل العظيم وأسمته « **هابل** » وجعلته في الفضاء عن طريق إحدى السفن الفضائية وإذا به يرسل لهم

(١) «مجلة العلوم» الصادرة عن أكاديمية البحث العلمي ـ القاهرة.

(٢) «الكون ذلك المجهول» جلال عبد الفتاح ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب.

صوراً مؤكدة عن هذه المنطقة المجهولة في السماء والتي ظنوا أنها خالية من أي أثر لخلق أو حياة أو نجوم، فيها من المجرات والنجوم الهائلة التي لا يعلم عددها إلا اللَّه أقربها إلينا أي إلى الأرض سبعمائة مليون سنة ضوئية[١].

أو ما زلنا في بداية الطريق وبداية السماء الأولى أم قد وصلنا إلى نهاية الطريق ونهاية السماء الأولى.

وبعد خمسين عاماً من الآن ربما تصل البشرية إلى تلسكوب يكشف أبعاداً هائلة أخرى، ويكشف مجرات جديدة ربما منها نجم واحد يسع كل مجموعتنا الشمسية التي اكتشفها العلم الحديث ومن يدري؟!

فالعلم واكتشافاته سلسلة لا متناهية يعيش مع كون غير متناه، وكلما اكتشفوا جديداً كشف هذا الجديد عن جديد آخر.

قديماً ظن الفلاسفة أن هذه الأرض هي محور الكون، قالوا هذا بما كانوا يملكون من علم قاصر، وإذا بهذه الأرض بعد مرور ألف سنة أخرى لا تشكل هي والمجموعة الشمسية التابعة لها والمجرة التي تتبع لها المجموعة الشمسية إلا ورقة واحدة من شجرة واحدة في غابة واحدة.

... أنشتاين قال فيما مضى: وعلم الفلك لا يزال في بدايته، إننا لو قسمنا عدد المجرات التي في السماء على عدد سكان الأرض لكان نصيب كل فرد منا سبعاً وثلاثين مجرة، ولو قسمنا عدد المجرات المكتشفة حتى هذا اليوم على عدد سكان الأرض لكان نصيب كل فرد منا ألف مجرة وليس سبعاً وثلاثين مجرة.

---

(١) هذا الاكتشاف العلمي أعلنت عنه جميع وكالات الأنباء العالمية والعربية على شاشات التلفاز سنة ١٩٩٥ وفي المجلات المختصة ووسائل الإعلام.

وحتى نزداد معرفة بالسماء ونعرف ما معنى كلمة السماء حجماً وبعداً فلنقرأ من سورة الواقعة هاتين الآيتين:

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ * وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ﴾.

[سورة الواقعة، الآيتان: ٧٥، ٧٦]

فالملاحظ في هاتين الآيتين أن اللّٰه سبحانه أقسم بمواقع النجوم ولم يقسم بالنجوم ذاتها، وأما لماذا؟

وذلك لأن النجوم أو الكواكب أو الأقمار تمثل حجوماً هائلة في أماكنها، ولكن عظمة بناء السماء لا تكمن في وجود هذه النجوم والكواكب فحسب، بل في هذه المسافات الشاسعة التي تفصل هذه النجوم والكواكب بعضها عن بعض، وبعد أن نقرأ عن هذه المسافات التي تفصل ما بين النجوم بعضها عن بعض ندرك معنى الآية القرآنية وندرك ما معنى المواقع التي قصدها اللّٰه سبحانه في قوله: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ وعلى سبيل المثال نذكر بعضاً من هذه الأبعاد الشاسعة بين النجوم بعضها عن بعض وبين الكواكب بعضها عن بعض(١).

١ ـ كواكب المجموعة الشمسية التسعة وهي عبارة عن عائلة واحدة يسكن بعضها قريباً من بعض تحتضنهم أمهم الشمس، والبعد بينها شاسع.

نذكر من ذلك على سبيل المثال:

الأرض تبعد عن الشمس ١٤٩ مليون ك م.

(١) ذهب بعض المفسرين إلى اعتبار النجوم في آية ﴿**فلا أقسم بمواقع النجوم**﴾ أنها نجوم القرآن، وذهب بعضهم إلى اعتبار النجوم المذكورة في الآية أنها نجوم السماء ومواقعها أي مطالعها ومشارقها، وأيد هذا التفسير ابن جرير الطبري.

المريخ يبعد عن الشمس ٢٢٧ مليون ك م.

المشتري يبعد عن الشمس ٧٧٧ مليون ك م.

بلوتون يبعد عن الشمس ٦٠٠٠ مليون ك م.

ونذكر على سبيل المثال بعد الأرض عن بعض كواكب المجموعة الشمسية:

الأرض تبعد عن المريخ ٤٩٨ مليون ك م.

الأرض تبعد عن زحل ٦٤٨ مليون ك م.

الأرض تبعد عن نبتون ٤٠٠٠ مليون ك م، وهكذا تقريباً المسافات بين كواكب المجموعة الشمسية الواحدة[١]

٢ ـ نتخطى حدود المجموعة الشمسية، وإن كنا لا نريد أن نتوغل في السماء الأولى بل نريد فقط أن نسافر إلى أول نجم خارج حدود المجموعة الشمسية أو أول كوكب يصادفنا إذا تخطينا حدود مجموعتنا الشمسية التي نتبع لها... يقول علماء الفلك: إن أول نجم بعد المجموعة الشمسية والذي يدخل ضمن مجرتنا يبعد عن الأرض والشمس ٤,٥ أربع سنوات ضوئية ونصف. ما معنى هذا؟ العلماء اختصروا الأرقام واستعملوا الرموز، والرمز الذي اختاروه لاختصار لغة الأرقام هو السنة الضوئية، وكيف يكون هذا؟

سرعة الضوء في الثانية الواحدة (٣٠٠,٠٠٠) ثلاثمائة ألف ك م.

وإذا ضربنا ٣٠٠٠٠٠ × ٦٠ = فالناتج يعطينا سرعة الدقيقة الضوئية الواحدة وهو / ١٨,٠٠٠٠٠٠ أي ثمانية عشر مليون ك م في الدقيقة الواحدة.

(١) «جمال الكون» يمنى الزهار.

١٨,٠٠٠٠٠٠ × ٦٠ = فالناتج يعطينا سرعة الساعة الضوئية الواحدة / ١٠٨٠٠٠٠٠٠٠ أي مائة وثمانية مليار ك م.

١٠٨٠٠٠٠٠٠٠ × ٢٤ = فالناتج يعطينا سرعة اليوم الضوئي / ٢٥٩٢٠٠٠٠٠٠٠ / أي ألفين وخمسمائة واثنين وتسعين بليون ك م.

ثم نضرب هذا الرقم في عدد أيام السنة (٣٦٥) فيكون ناتج مسافة السنة الضوئية الواحد، أرقاماً لا طاقة للبشر بتخيلها دون ذكرها.

وبتعبير آخر فإن علماء الفلك قالوا: إننا لو أردنا أن نصل إلى أقرب نجم لنا خارج حدود المجموعة الشمسية فإننا بحاجة إلى سفينة فضائية تسير بسرعة الضوء أي بسرعة ثلاثمائة ألف ك م في الثانية الواحدة، ومع ذلك نحتاج إلى أربع سنوات ضوئية ونصف للوصول إلى هذا النجم.

هذا عن أقرب نجم لنا، فكيف بأبعد نجم عن مركز الكرة الأرضية؟!!

فإننا إذاً بحاجة إلى آلاف المليارات أو التريليونات من الأعوام للوصول إليه، وكلمة الوصول إليه كلمة احتمالية لإتمام الحديث، وليس استعمالها من أجل حتمية الوصول، ونحن نقول إن دخل الجَمَلُ في سم الخياط فإننا نصل إلى أقرب نجم لنا، وإذا أردنا أن نصل إلى آخر نجم في السماء الأولى فيجب أن ندخل عشرة آلاف جمل معاً وفي نفس الوقت في سم الخياط «**ثقب الإبرة**».

٣ ـ حدود عيوننا الطبيعية التي وهبها اللَّه لنا، ترى في السماء لمسافة مليوني سنة ضوئية، فأي نجم تراه أعيننا المجردة في السماء

قد يصل ببعده إلى مليوني سنة ضوئية، ومع ذلك فإن الناظر في السماء يرى أن هناك نجمين يكادان يتلاصقان. يقول علماء الفلك: إن ما بينهما من المسافة ما يزيد عن ألف مليون ك م.

إذاً ما مقدار المسافة بين نجمين نرى أحدهما في أقصى الجنوب والآخر في أقصى الشمال؟

فالأرقام قد لا تسعها الكرة الأرضية طولاً لكتابتها.

فنحن حينما نقرأ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾.

[سورة ق، الآية: ٣٨]

نحس بأن مداركنا أصبحت قريبة من هذه الآية القرآنية(١).

لأن جيل هذا العصر وعلماءه وباحثيه أصبحوا أقرب فهماً وعلماً لمعنى قوله تعالى، حينما يتحدث عن خلقه للسماوات والأرض بعد أن تهيأت لهم أسباب هذا العلم وهذا الفهم، وأصبح بين أيديهم علم اسمه علم الفلك درسوا فيه ما معنى النجوم والكواكب والأقمار والمذنبات وحددوا مسارها وأحجامها وأبعادها بعضها عن بعض، وعلموا أن هذا يفوق حد تخيل عقول البشر(٢).

فعلماؤنا السابقون رحمهم اللّه لم تكن لهم هذه المعلومات الدقيقة عن حقيقة السماء ولا عن حقيقة تلك النجوم وأحجامها وأبعادها، لذلك ما استطاعوا الدخول في شرح هذه الآيات بأكثر مما

---

(١) هذه الآية الكريمة رد على ما جاء في الإصحاح الثاني في سفر التكوين للتوراة المحرفة وهي أن الله بعد أن خلق السماوات والأرض في ستة أيام وانتهى من خلقها استراح في اليوم السابع؛ لذلك اتخذه اليهود عيداً لهم فهذه الآية رد على هذا الكفر.

(٢) «التفسير العلمي للآيات الكونية» حنفي أحمد.

عندهم من العلوم أو بما تناولوه عن سلفهم وعن أصحاب رسول اللَّه ﷺ.

ولا يمكنك أن تسهب في التفصيل والشرح لمعنى أي آية قرآنية كريمة إن لم يكن لديك فكرة عامة عن الموضوع، أو بما يتصل بمعنى الآية من علوم، وهذا أيضاً ينطبق علينا نحن أهلَ هذا الجيل، فكثير من الآيات القرآنية لا نزال غير قادرين على الخوض فيها بإسهاب وتفصيل دقيقين، فربما تكون هذه الآية للجيل الذي يلينا، كقوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾.

[سورة الانشقاق، الآية: ١٩]

فأنا لا أستطيع شرحها وبيانها بأكثر من جملة أو جملتين بما أعطاني اللَّه من علم أو فهم. ولكن قد يأتي باحث بعد مِائة عام وتكون قد ظهرت دلائل هذه الآية وعلمها فيتكلم عنها بصفحات كثيرة وبتفصيل دقيق وفق ما لديه من إثباتات علمية حديثة.

والآن ومن منظور اكتشاف العلم لما في بعض السماء الأولى أدركنا قيمة وعظمة خلق السماوات، وأدركنا ما معنى أن اللَّه خلق السماوات، وأدركنا عظمة هذا الخالق الذي تسجد له عقولنا وأحاسيسنا قبل أجسادنا.

فأنت حينما تدرك بعض حقائق السماء وتعلم أن أحد هذه النجوم التي تسطع في السماء الدنيا، وتظهر لك كعقلة الأصبع ما هي إلا شمس قد يتجاوز حجمها حجم الأرض مليوناً أو مليوني مرة، ولكن البعد الشاسع الذي يفصل ما بيننا وبينها وهو ما لا يقل عن مليوني سنة ضوئية، هو الذي يجعل حجمها متمثلاً للناظر إليها لا يزيد عن حجم إبهام مشع ومضيء في صفحة السماء.

فخلقنا كلمة، والسماوات كلمة، والأرض كلمة، وما بينهما كلمة، ولكن هذه الكلمات الأربع تزن ملايين المليارات من الأطنان من القدرة والعلوم، وذلك حينما أدركنا بعض ما في السماء من علم وقدرة، أدركنا من هو الإلٰه القادر العليم وأدركنا ما معنى قيام الساعة وعظيم أمرها حيث تتشقق السماء وتنكدر النجوم وتتفجر على عظيم حجمها وبعد ما بينها وبعدها عن الأرض التي نعيش عليها، وكذلك ندرك ما معنى قوله تعالى: ﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ١٣٣]

وندرك حجم الجنة وسعتها العظيمة التي وُعد المتقون بها(١).

(١) كتاب آيات الله في السماء ـ ماهر أحمد الصوفي.

شرار الناس آخر الخلق

قدمت أن قيام الساعة لا يكون إلا على شرار الناس وحثالة البشر، الذين تحولوا إلى عبادة الأوثان وأشركوا باللَّه وكفروا بأنعمه وآلائه، لا ينهون عن منكر رأوه، يسارعون في معصية اللَّه، لا يعملون إلا ما يغضب اللَّه سبحانه، في ارتكابهم للآثام والذنوب في خفة الطير وأحلام السباع.

ومن خلال الأحاديث نتبيَّن أن هؤلاء الذين تقوم عليهم الساعة هم من أسوأ الخلق وأشرهم وأضلهم وأشركهم وأكفرهم عند اللَّه سبحانه وهم أولى الناس صلياً في جهنم يوم القيامة.

عن النواس بن سمعان رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« فبينما هم كذلك إذ بعث اللَّه ريحاً طيبة، فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم، ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها ـ أي يتسافدون ـ تهارج الحُمُر فعليهم تقوم الساعة »(١)

وهؤلاء الذين وصفهم رسول اللَّه ﷺ بأنهم من شر الخلق عند اللَّه سبحانه، وبأنهم أشبه بالأنعام بل أضل سبيلاً، ينعِّمهم اللَّه سبحانه في حياتهم قبل قيام الساعة ليزدادوا إثماً وبهتاناً ومعصية، فهم في طغيان عظيم رغم إمداد اللَّه إياهم بالرزق والصحة وحسن العيش.

يقول تعالى: ﴿ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ١٥]

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٤ / ١٨١) ومسلم في صحيحه رقم الحديث (٢٩٣٧).

والذين قصدهم اللَّه سبحانه في الآية الكريمة التالية هم هؤلاء الذين تقوم عليهم الساعة.

يقول تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا﴾.

[سورة مريم، الآية: ٧٥]

فهؤلاء الذين تقوم عليهم الساعة هم الذين يمدُّهم اللَّه بنعمه المتواترة ورزقه دارٌّ عليهم والخير يتدفق بين أيديهم.

يقول تعالى موضحاً أمثال هؤلاء: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ۝ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾.

[سورة الكهف، الآيتان: ١٠٣، ١٠٤]

وفي حديث لرسول اللَّه ﷺ يبيِّن لنا حالة هؤلاء الناس الذين تحشرهم النار إلى أرض المحشر في بلاد الشام، وكيف أنهم كانوا يعيشون قبل قيام الساعة بنعيم عظيم بعد أن قبض اللَّه سبحانه أرواح المؤمنين جميعاً.

عن ابن عمر رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«ثم يرسل اللَّه ريحاً باردة من قبل الشام ـ يعني قبل قيام الساعة بقليل ـ فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا قبضته، حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلت عليه حتى تقبضه، فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع، لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً، فيتمثل لهم الشيطان، فيقول: ألا تستجيبون، فيقولون: فما تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان فيعبدونها وهم في ذلك دارٌّ رزقهم حسن عيشهم ثم ينفخ في الصور»[1] أي تقوم الساعة.

---

(١) رواه مسلم رقم الحديث ٢٩٤٠، ورواه أحمد في مسنده رقم (٢ / ١٦٦).

من الواضح من أحاديث رسول اللَّه ﷺ صفات من هم الذين تقوم عليهم الساعة، وكيف أن اللَّه سبحانه ينعمهم في حياتهم بالنعم العظيمة ويبقى السؤال حول أولئك الذين يقبض اللَّه أرواحهم قبل قيام الساعة وهم المؤمنون على اختلاف درجاتهم، حتى إن اللَّه سبحانه يقبض روح من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان... وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على عظيم رحمة اللَّه تعالى بالمؤمنين، حتى لو كان في القلب مثقال ذرة من إيمان.... ذلك أن اللَّه سبحانه أعلم بعظيم أهوال قيام الساعة وعذابها وآلامها... كيف لا؟ وكل شيء يدمر حول من تقوم عليهم الساعة: النجوم والكواكب والجبال والبحار والأنهار، وتشتعل النار في البحار وتزلزل الأرض في كل مكان زلزلة عظيمة، هذه المشاهد المرعبة يرحم اللَّه من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان أن يراها رأي العين، فلا يستحقها إلا من ليس في قلبه أدنى مُسْكة من الإيمان، وقد أشرب قلبه الشرك والمعصية وأضحت عبادة الأوثان والشياطين تجري منه مجرى الدماء من العروق كما قال تعالى: ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٩٣]

لماذا حجب اللَّه سبحانه وقت قيام الساعة... حتى عن رسله وأنبيائه، ولا تأتي إلا بغتة؟؟

حجب وإخفاء وقت قيام الساعة عن خلق اللَّه جميعاً من الرحمة الإلٰهية لعباده، وحتى لرسله والملائكة المقربين كجبريل وإسرافيل وميكائيل وعَزرائيل وغيرهم من حملة العرش من الملائكة العظام.

فجبريل عليه السلام من أقرب الملائكة إلى اللَّه سبحانه، وهو رسوله إلى كل رسله وأنبيائه الذين أرسلهم اللَّه سبحانه، واختصهم بالرسالة والهداية والعلم، وقد وصفه اللَّه سبحانه بالأمانة والقوة والطاعة.

قال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ * مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾.

[سورة التكوير، الآيات: ١٩ ـ ٢١]

هذه هي الصفة التي وصف اللَّه سبحانه بها جبريل، ومع ذلك حجب اللَّه سبحانه عنه وقت قيام الساعة ودليلنا حديث رسول اللَّه ﷺ الطويل عندما جاءه جبريل بصورة رجل ودخل إليه المسجد وسأله عن الساعة، فقال رسول اللَّه ﷺ: « **ما المسؤول عنها بأعلم من السائل** ».

[رواه ابن ماجه عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه]

ليست المسألة متعلقة بملك مقرب أو نبي مقرب، فهذا جبريل

أقرب الملائكة وأرفعهم مكانة عند اللَّه تعالى، وهذا رسول اللَّه ﷺ أعلى البشر منزلة عند اللَّه سبحانه، ومع ذلك حجبت عنهما وما ذلك إلا أن حكمة اللَّه سبحانه قضت أن لا يطلع على زمن وقوعها أحد من خلقه لعلم يعلمه وحكمة هو أعلم بمرادها.

ومن وجهة نظرنا نحن كبشر نقول: لو أن اللَّه سبحانه أطلع عليها جبريل وأسرها له لما باح بها ومع ذلك أخفيت عنه.... إذاً هناك حكمة عليا.... فجبريل والملائكة والإنس والجن كلهم عباد اللَّه وخلق اللَّه سبحانه، وحكمة اللَّه في خلقه تجري وتسري على جميع الخلق وما يصيب البشر عند قيام الساعة يصيب جميع خلق اللَّه تعالى وجميع خلقه يموتون لم يستثن اللَّه سبحانه أحداً منهم.

قال تعالى: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾.

[سورة الرحمن، الآيتان: ٢٦، ٢٧]

فالباقي هو اللَّه سبحانه ولا أحد سواه، فإذا علم جبريل والملائكة المقربون موعد الساعة فمعنى ذلك أنهم علموا وقت موتهم، والموت سر من أسرار اللَّه سبحانه لم يطلع عليه أحداً من خلقه.

قال تعالى: ﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾.

[سورة لقمان، الآية: ٣٤]

هل أخفى اللَّه سبحانه عنا... قيام الساعة مطلقاً؟؟

اللَّه سبحانه لم يخف عنا قيام الساعة مطلقاً، وذلك مما قدَّمنا في الجزء الأول والثاني من الموسوعة عندما كنا نتكلم عن علامات الساعة الصغرى والوسطى والكبرى.

فلو أخفي عنا قيام الساعة مطلقاً لما جعل اللَّه تعالى ورسوله ﷺ لها علامات وأشراطاً، ليتهيَّأ الناس لها ويستعدوا بالطاعة والعبادة ومرضاة اللَّه سبحانه. . . فعلامات الساعة رحمة من اللَّه للناس وإخفاء قيامها رحمة من اللَّه للناس ففي كليهما رحمة منه سبحانه وتعالى.

فلو لم يكن لها علامات لضاع الناس في زحمة الأيام والليالي الطوال، ولكن في كل جيل من أجيال المسلمين تظهر علامات حددها اللَّه سبحانه ورسوله الكريم ﷺ، فيدرك الناس صحة تلك العلامات ويدركون باليقين أن ما بقي من العلامات قادم، وأن الساعة آتية لا ريب فيها. . وكذلك فإن كل جيل يدرك أن ما بقي من الزمن لقيام الساعة أقل من الزمن الذي بقي لدى الجيل قبله.

. . . ونحن في زمننا هذا أدركنا أن الوقت لقيام الساعة أصبح قريباً بما لدينا من علامات لها ظهرت ومن علامات تظهر الآن، وفي حياتنا.

فاليوم نشاهد بأعيننا علاماتٍ متكاثرةً. . . فتزيين المساجد

وزخرفها وتشييد العمارات الشاهقة الارتفاع وظهور القينات والمعازف واضح جلي لكل ذي عينين، واجتماع اليهود في فلسطين شرط جلي لظهور الدجال وغيرها من العلامات التي تحدث عنها رسول الله ﷺ.

يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ * فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ﴾.

[سورة طه، الآيتان: ١٥، ١٦]

ولقد ناقشنا في الجزء الأول من الموسوعة الذي يتحدث عن علامات الساعة الصغرى والوسطى مسألة قرب وبعد قيام الساعة، وقدَّمنا بالدرس والتحليل ما موجزه: أن الساعة قريب من مفهوم الآيات القرآنية التي يتحدث الله سبحانه فيها عن قيام الساعة، وكذلك الأحاديث الشريفة، وأنْ نستبعد من أذهاننا فكرة الزمن الطويل والذي يمتد عشرات الآلاف من السنين أو مئات الآلاف من السنين، وقد بيَّنَّا في الأحاديث الشريفة والدلائل العلمية أن زمن وقوع الساعة ليس بعيداً ولا يمتد إلى سنوات طويلة.

... وكل هذا تؤكده الآيات القرآنية الكريمة:

يقول تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾.

[سورة الشورى، الآية: ١٧]

ويقول تعالى: ﴿قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا * أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾.

[سورة الإسراء، الآيتان ٥٠، ٥١]

ويقول أيضاً: ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِيٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا﴾.

[سورة الجن، الآية: ٢٥]

ويقول تعالى: ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾.

[سورة الأحزاب، الآية: ٦٣]

ولعل الآية في سورة المعارج هي من أوضح الأمور بأن الساعة أو القيامة قريب زمنها وليس بعيداً.

يقول تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا * إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا * وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾.

[سورة المعارج، الآيات: ٥ ـ ٧]

كل هذه الآيات الكريمة تبيِّن أن موعد قيام الساعة قريب وربما أقرب مما نتصور في علم اللَّه سبحانه.

. . . فتحديد الوقت المعلوم للساعة، أو أنها تقوم في سنة كذا أو في أوائل القرن كذا أو بعد قرنين أو ثلاثة أو خمسة، فهذا كله مما لا يصح لأن اللَّه سبحانه أخفي عنا تحديد ميعادها ووقتها وسنتها وشهرها ويومها ـ وكل ما أعطانا إشارة من بعض علم أنها قريب، وأن لها أشراطاً لا تحدث ولا تقع من دونها، ومن ظهور أشراطها المستمر نتأكد أننا منها جِدُّ قريب.

وما قدَّمه رسول اللَّه ﷺ أن الساعة تقوم في يوم جمعة ولكن أي يوم جمعة؟

فهي في علم اللَّه سبحانه، وما ذلك إلا لبيان عظيم يوم الجمعة عند اللَّه سبحانه، والذي خصَّه بسورة في القرآن الكريم، والذي جعل فيه أجراً عظيماً للطائعين العابدين الساجدين، وجعل في صلاة الجمعة وحضور خطبتها أجراً مضاعفاً وكرماً عظيماً منه سبحانه. يقول رسول اللَّه ﷺ.

- عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، ولا تقوم الساعة إلا يوم الجمعة»(١).

- عن أوس بن أوس رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا عليَّ من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة عليَّ»(٢). ولما كانت الساعة تقع في يوم الجمعة فإن كل المخلوقات ما عدا الإنس والجن تنتظر الساعة في كل يوم جمعة. عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه هبط وفيه تيب عليه وفيه مات وفيه تقوم الساعة، ما من دابة إلا وهي مصيخة يوم الجمعة من حين تصبح حتى تطلع الشمس شفقاً من الساعة إلا الإنس والجن»**(٣).

---

(١) رواه مسلم في صحيحه ـ مشكاة المصابيح رقم الحديث ١٣٥٦.

(٢) رواه أبو داود والنسائي وابن ماجهْ ـ مشكاة المصابيح رقم الحديث (١٣٦١).

(٣) رواه الترمذي وأحمد والنسائي والإمام مالك انظر مشكاة المصابيح رقم الحديث (١٣٥٩).

كيف تقوم الساعة؟؟

قيام الساعة هو الأمر من اللَّه سبحانه ببدء يوم القيامة. . . ولكن قيام الساعة شيء ويوم القيامة شيء آخر.

قيام الساعة هو البداية التي تغير معالم الكون وتنهي الحياة الدنيا بكل أشكالها وصورها.

. . . إنه أمر عظيم. . إن أمر تفجير السماوات وانشقاقها، وانكدار النجوم العظام والتي تبلغ بالمليارات، وإنهاء ما يسمى بالمجرات والعناقيد المجرية، وزوال نور الأقمار في كل أنحاء السماء وتحويلها إلى ظلام دامس لا أثر فيها للحياة وللزينة. . عندها تنتهي زينة السماء بالكواكب وزينة السماء بالمصابيح، تطفأ الأنوار ويعيش الكون ظلامه السرمدي. . مهمة الكواكب تنتهي ومهمة النجوم تنتهي، مَهمتها كزينة ومهمتها كمصابيح مضيئة.

يقول تعالى: ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾.

[سورة فصلت، الآية: ١٢]

وقال تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ﴾.

[سورة الصافات، الآية: ٦]

وكما تنتهي مهمة السماء ببروجها ومجراتها وكواكبها وساكنيها في لحظة قيام الساعة، كذلك تنتهي مهمة الخلائق جميعاً على الأرض من إنس وجن وحيوان، ففترة الامتحان والابتلاء والخلافة قد انتهت،

وجاء دور آخر وحياة أخرى وبعث آخر، بعد أن أمهل اللّه سبحانه خلقه إلى يوم الوقت المعلوم بعد خلافة في الأرض طويلة، كان اللّه ينظر فيها إلى أعمالهم وأقوالهم وقلوبهم.

يقول تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾.

[سورة يونس، الآية: ١٤]

لقد جاءت الساعة وجاء الوعد الحق الذي أقسم اللّه سبحانه عليه في أكثر من آية قرآنية كريمة.

قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾.

[سورة الذاريات، الآية: ٢٣]

على من تقوم الساعة؟؟

تقوم الساعة على أولئك الخلق الذين وصفهم رسول اللَّه ﷺ أنهم أشر الخلق على وجه الأرض، وقد تقدَّم معنا في الأحاديث الشريفة أن اللَّه سبحانه يخرج من قعر عدن ناراً تحشر الناس إلى أرض المحشر (بلاد الشام)، وكذلك تحشرهم من المشرق إلى المغرب، وأظن كذلك أنها تحشر كل الخلق الموجودين على قَيد الحياة في كامل أنحاء الأرض، دون اطلاع ومعرفة حقيقة البشر الذين هم على قيد الحياة في لحظة قيام الساعة، وهل هم في كامل الأرض كما هي الحال اليوم، أم في جزء منها لأن الأحاديث الشريفة لم تشر إلى هذا الأمر ولكنها أشارت إلى أن ناراً ستخرج من اليمن (عدن) فمن قوتها وشديد لهيبها تجبر الناس على الهرب باتجاه بلاد الشام لأن مسير النار إلى بلاد الشام ثم تتوسع النار فتحشر الناس من مشرق الأرض إلى مغربها أي إلى بلاد الشام. فأرض الشام المباركة، والتي بارك فيها رسول اللَّه ﷺ هي أرض المحشر والمنشر التي أرادها اللَّه سبحانه في علمه.

يجمع اللَّه سبحانه كل الخلق الذين ستقوم عليهم الساعة جزاء وِفاقاً لكفرهم وشركهم وعبادتهم للأوثان... ولقد تقدم الحديث الشريف الذي يبيِّن فيه ﷺ طريقة حشر ما بقي من البشر بعد أن قبض اللَّه أرواح المؤمنين وأرواح من كان في قلبه ذرة من الإيمان.

... فإذا ما اكتمل الحشر لا ندري كم يمكث الناس في أرض

المحشر والمنشر في بلاد الشام حتى تقوم عليهم الساعة. . . ولكن من الآيات القرآنية الكريمة وأحاديث رسول اللَّه ﷺ نتبيَّن أن هناك معيشة لهؤلاء القوم المشركين بعد أن تحشرهم النار وتجمعهم في بلاد الشام، ولكن وقت هذه المعيشة وزمنها غير معروف، لأن هذا من علم الغيب الذي لم يتحدث به اللَّه تعالى ورسوله الكريم ﷺ، فلا يستطيع أحد من البشر مهما أوتِي من العلم أن يتدخل في مثل هذه الأمور أو يبدي فيها رأياً أو يحدد لها وقتاً، ومما يدلّ على معيشتهم لمدة بعد حشرهم ما قاله تعالى في سورة يس.

يقول تعالى:

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ * مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ * فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾.

[سورة يس، الآيات: ٤٨ ـ ٥٠]

ومعنى الآيات الكريمة:

يقول الكفار للمؤمنين استهزاءً وتهكماً متى يقع هذا الأمر الموعود به وهو الساعة والبعث من القبور إن كنتم صادقين في دعواكم؟ ـ فيأتي الجواب من اللَّه سبحانه: ما ينتظرون إلا صيحة واحدة (صوتا شديد الإرهاب مهلكاً) وهي نفخة إسرافيل الأولى في الصور، والتي يموت منها الخلائق جميعاً، وتقضي عليهم بسرعة وهم يختصمون في البيع والشراء وأمور الدنيا، فلا يستطيع بعضهم الإيصاء لبعض فيما له وما عليه ولا يعودون إلى أهليهم ومنازلهم من مشاغلهم لموتهم فيها.

ويقول رسول اللَّه ﷺ في هذا الخصوص وعن سرعة موت العباد وهلاكهم حينما تقوم الساعة.

- عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه، ولتقومن الساعة وهو يلوط حوضه، فلا يسقي منه، ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها»[١].

(١) رواه البخاري كتاب الفتن انظر فتح الباري (١٣ / ٨٢).

الفصل الثاني

ـ الأمر بقيام الساعة والنفخ في الصور.
ـ من هم الذين استثناهم . . اللَّه سبحانه . . . فلا يصعقون عند النفخ في الصُّور؟؟
ـ حال الناس عند نفخة الصعق.
ـ ما معنى أن الساعة ثقلت في السماوات والأرض؟؟
ـ ما معنى أن الساعة لا تأتي إلا بغتة مع أن لها أشراطاً وعلاماتٍ؟؟
ـ حال الأرض والجبال والبحار . . وقت قيام الساعة كما جاء في القرآن الكريم.
ـ حال الأرض وقت قيام الساعة.
ـ حال الجبال عند قيام الساعة.
ـ حال البحار عند قيام الساعة.
ـ إشعال البحار بالنار عند قيام الساعة ﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾.
ـ التفسير العلمي الحديث للآية الكريمة ﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾.
ـ تفجير البحار عند قيام الساعة ﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴾.
ـ التفسير العلمي الحديث للآية الكريمة ﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴾.
ـ حال السماوات عند قيام الساعة.
ـ آيات انشقاق السماوات وانفطارها عند قيام الساعة.
ـ بيان وتفسير آيات انشقاق السماء وانفطارها عند قيام الساعة.

الأمر بقيام الساعة والنفخ في الصور

إذا جاء الأمر بقيام الساعة فمعنى ذلك أن اللَّه سبحانه وفَّى وحقَّق كل ما كان وعد به وصدّق رسوله بكل ما أخبر عنه قبل قيام الساعة، فإذا تحقق الوعد من اللَّه ورسوله ﷺ أمر اللَّه سبحانه إسرافيل بالنفخ في الصور إيذاناً بقيام الساعة، وهي اللحظة الحاسمة ويا لها من لحظة! لحظة البداية التي تشيب لها الولدان وتضع الحامل حملها، وترمي المرضع وليدها، وترى الناس يتخبطون تخبط السكارى الذين فقدوا وعيهم واتزانهم وحتى عقولهم.

يقول تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾.

[سورة الزمر، الآية: ٦٨]

هذه هي البداية فما هو الصور؟ ومن الذي ينفخ في الصور؟

الصور: في لغة العرب القَرْن وفسره بعضهم (بالبوق)، وقد سئل رسول اللَّه ﷺ عن الصور ففسره لهم بما تعرفه العرب من كلامها.

ـ عن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص رضي اللَّه عنهما قال: جاء أعرابي إلى رسول اللَّه ﷺ فقال: ما الصور؟ قال: « **الصور قرن ينفخ فيه** »[(١)].

(١) رواه الترمذي وأبو داود وابن حبان وأحمد والحاكم ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني رقم الحديث (١٠٨٠).

. . . وقد جاءت بعض التفسيرات حول معنى (الصور) لا أرى داعياً لذكرها ومنها على سبيل الذكر أن المقصود بالنفخ في الصُّور أي النفخ في الأبدان وليس في الصور الذي هو البوق. . . وقد رُدَّت هذه الآراء لأنها خلاف ما عليه أهل السنة والجماعة، وما عليه أهل السنة والجماعة (أن الصور بوق ينفخ فيه).

وما ذكره أيضاً بعضهم بأن الصور ياقوتة أو من نور فلا نعلم أن هناك حديثاً شريفاً صحيحاً يصف الصور بهذه الصفات.

ولكن السؤال يبقى ما الصور؟ وما صفاته؟ وكم يبلغ حجمه؟

الصُّور: هو بوق مكلف به إسرافيل عليه السلام، لا يعلم قدر حجمه إلا اللَّه سبحانه وتعالى. . فإذا نفخ فيه إسرافيل عليه السلام بأمر من اللَّه سبحانه صَعِقَ من في السماوات ومن في الأرض أي مات كل أهل السماوات وأهل الأرض إلا من شاء اللَّه أي من استثني منهم من الموت. . ولم يحدد لنا رسول اللَّه ﷺ قدر سعته وحجمه ودائرته. . . ولكن يروى أن دائرته سعة السماوات والأرض. . . هذه رواية عن سعته. . . ولكن ما رأيك ببوق إذا نفخ فيه صعق ومات أهل السماوات السبع والأرض إلا من شاء اللَّه. . . ولقد قدَّمت من قبل عن معنى السماوات السبع ومقدار سعتها، وآلاف المليارات من المجرات والشموس التي تحويها السماء الدنيا فحسب ولا ندري ما في السماء الثانية والثالثة إلى السابعة؟ هذه السماوات بهذا الحجم الهائل والذي لا يمكن أن تسعه عقولنا، يصعق من فيها إذا سمعوا نفخة الصعق من هذا البوق. . . ومهما شططنا في تقدير حجمه وسعته وقطر دائرته فلا أتصور أن نصل إلى رقْم، والتقدير يعود إلى علم اللَّه سبحانه، وهذا لا ينافي الرواية بأن سعته سعة السماوات والأرض واللَّه أعلم.

الصور وإسرافيل عليه السلام:

عُرف أن صاحب الصور والنافخ فيه (إسرافيل) عليه السلام، وهذا ما قاله ابن حجر العسقلاني: «**اشتهر أن صاحب الصور إسرافيل عليه السلام، ونقل فيه الحليمي الإجماع، وكذلك في حديث وهب بن منبه وقع التصريح به.. وفي حديث أبي سعيد عند البيهقي، وكذلك في حديث أبي هريرة رضي اللّه عنه عند الديلمي**».

... وإسرافيل ملك من ملائكة اللّه تعالى المقربين والعظام مع جبريل وميكائيل وعزرائيل وحملة العرش، ولبيان عظيم خلقه إسرافيل الذي يلتقم الصور فيمسك به ويضعه على فيه، نورد حديثاً صحيحاً عن رسول اللّه ﷺ يصف فيه أحد الملائكة من حملة العرش!!

- عن جابر بن عبد اللّه رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«**أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة اللّه تعالى من حملة العرش إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام**».

[رواه أبو داود رقم الحديث ٤٧٢٧]

فتصور حجم الصُّور وعظيم خلقه النافخ فيه إسرافيل عليه السلام بعد الحديث عن أحد ملائكة اللّه تعالى من حملة العرش.

... وقد أخبرنا رسول اللّه ﷺ أن إسرافيل عليه السلام صاحب الصُّور مستعد كما أمره اللّه تعالى للنفخ في الصُّور.

- عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«**إنَّ طرْف صاحب الصُّور** (أي إسرافيل) **منذ وكل به مستعد ينظر حول العرش، مخافة أن يؤمر قبل أن يرتدَّ إليه طرفه، كأن عينيه كوكبان دريان**»(١).

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك - سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني رقم الحديث (١٠٧٨).

عن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**كيف أنعَم؟ وقد التقم صاحب القرنِ القرنَ، وحنى جبهته، وأصغى سمعه، ينتظر أن يؤمر أن ينفخ، فينفخ**». قال الصحابة: كيف نقول يا رسول اللَّه؟ قال: «**قولوا: حسبنا اللَّه ونعم الوكيل توكلنا على ربنا**»[١].

كم مرة ينفخ في الصور لقيام الساعة؟؟

ينفخ في الصُّور مرتين: مرة لقيام الساعة ومرة لقيام الناس من قبورهم (البعث) لقوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾.

[سورة الزمر، الآية: ٦٨]

ولقد ذهب بعض أهل العلم أمثال ابن تيمية وابن العربي وابن كثير إلى أنها ثلاث نَفخات وهي نفخة الفزع، ونفخة الصعق، ونفخة البعث، وحجة القائلين بأنها ثلاث نفخات:

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾.

[سورة النمل، الآية: ٨٧]

ولكن نقول: إن الأحاديث الشريفة جاءت صريحة بأنهما نفختان واحدة للصعق وقيام الساعة والثانية للبعث ـ بعث الناس من قبورهم.

ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«**ما بين النفختين أربعون**»[٢].

---

(١) رواه الترمذي وأبو نعيم في الحلية وابن حبان والحاكم ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم الحديث (١٠٧٩).

(٢) رواه البخاري ومسلم.

ـ عن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص رضي اللَّه عنهما أنه سمع رسول اللَّه ﷺ يقول:

«يوم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتاً ورفع ليتاً، فأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله، قال: فيصعق ويصعق الناس ثم يرسل اللَّه ـ أو قال مطراً كأنه الطل فتنبت منه أجساد الناس ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون»(١).

ـ عن أوس بن أوس الثقفي رضي اللَّه عنه عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال:

«أفضل أيامكم الجمعة فيه الصعقة وفيه النفخة»(٢).

من الأحاديث الشريفة ندرك أن هناك نفختين: نفخة الصعق (الموت) ونفخة القيام (البعث) وفي هذا قال ابن حجر العسقلاني والقرطبي وغيرهما:

. . . وعلى اعتبار أنها ثلاث نفخات كما قال بعض العلماء نفخة الفزع ونفخة الصعق (الموت) ونفخة القيام (البعث)، فالأولى هي للفزع، وأما التي تميت الأحياء جميعاً فهي نفخة الصعق، والتي تعيدهم أحياء هي نفخة البعث. قال تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ﴾.

[سورة الزمر، الآية: ٦٨]

فهما نفختان كما ورد في الآية القرآنية الكريمة.

(١) رواه مسلم رقم الحديث (٢٩٤٠).

(٢) رواه النسائي وأبو داود وأحمد وابن حبان والحاكم ـ فتح الباري (١١ / ٣٧٠).

من هم الذين استثناهم اللّه سبحانه... فلا يصعقون عند النفخ في الصُّور؟؟

يقول تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ﴾.

[سورة الزمر، الآية: ٦٨]

فمن هؤلاء الذين استثنى اللّه سبحانه من الموت عند النفخة؟؟

لقد اختلف العلماء في هذا الاستثناء، وتعددت أقوالهم وآراؤهم، فمن قائل: إنهم الحور العين والغلمان، ومن قائل: إنهم جميع الملائكة، ومن قائل: إنهم الملائكة المقربون، فلنستعرض أقوال العلماء في هذا الخصوص:

١ ـ ذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمه اللّه إلى أن المراد بهم الذين في الجنة من الحور العين والولدان، وأضاف بعض تلاميذه خازن الجنة رضوان وخازن النار مالك.

٢ ـ يقول ابن تيمية رحمه اللّه: «**وأما الاستثناء فهو متناول لمن في الجنة من الحور العين، فإن الجنة ليس فيها موت**».

٣ ـ وقال مقاتل وغيره من العلماء: إنهم جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، وأضاف غيرهم: حملة العرش.

٤ ـ وفي رأي مغاير تماماً لأبي العباس القرطبى أن المراد بهم الأموات كلهم، لكونهم لا إحساس لهم فلا يصعقون.

ولقد عقد ابن القيم في كتابه (الروح) فصلاً بيَّن فيه أن أهل العلم قد اختلفوا في موت الأرواح ومن هم المستثنون من الموت عند النفخ في الصُّور.

. . . اللَّه سبحانه لم يخبر في كتابه من هؤلاء الذين يستثنيهم من الموت عند نفخة الصعق وكذلك لم يخبرنا النبي ﷺ من هم. ربما لم يوح إليه في أمرهم شيء، ودليل ذلك حديث البخاري عن رسول اللَّه ﷺ في هذا الخصوص.

ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لا تخيروني على موسى فإن الناس يصعقون فأكون أول من يفيق، فإذا موسى باطش ـ جالس ـ بجانب العرش، فلا أدري أكان فيمن صعق فأفاق قبلي، أو كان ممن استثنى اللَّه**»[١].

والحديث الشريف يدل على أن رسول اللَّه ﷺ لم يعط هذا الغيب وإلا دلنا على من استثنى اللَّه سبحانه من الموت عند الصعقة الأولى، ولهذا كان هناك اختلاف في الرأي بين العلماء والفقهاء حول المستثنين من الموت.

. . . وفي رَأي آخر: إنهم الشهداء والأنبياء حيث يصعقون صعق غشية وليس صعق موت، وذهب هذا المذهب البيهقي حيث يقول: «**ووجهه عندي أنهم أحياء عند ربهم ـ الأنبياء ـ كالشهداء فإذا نفخ في الصور النفخة الأولى صعقوا، ثم لا يكون ذلك موتاً في جميع معانيه إلا في ذهاب الاستشعار**».

. . . وفي رأي جميل معقول للحليمي نقله عنه القرطبي حيث إنه أبي أن يكون المستثنون من الموت في النفخة الأولى حملة العرش

---

(١) صحيح البخاري. كتاب أحاديث الأنبياء فتح الباري: (٦ / ٤٤١).

أو جبريل أو ميكائيل وعزرائيل أو الولدان أو الحور العين في الجنة.

ولقد بيَّن سبب إنكاره وهو أن اللَّه سبحانه وتعالى يقول: ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ فالصعق في الآية لسكان السماوات والأرض، ولكن كل أولئك: (حملة العرش والملائكة المقربون والحور والغلمان) ليسوا من سكان السماوات ولا الأرض، فالعرش فوق السماوات وكذلك الجنة فهم بمعزل عمن خلق اللَّه للموت من سكان السماوات والأرض... وهذا رأي حسن وفيه دراية وتحليل ممتازان، وفي آخر القول نقول:

ذهب بعض أهل العلم إلى أن الأولى بالمسلم التوقف في تعيين الذين استثناهم اللَّه سبحانه لأنه لم يصح في ذلك نص يدل على المراد.

وقال القرطبي: «**قال شيخنا أبو العباس: والصحيح أنه لم يرد في تعيينهم خبر صحيح، وكله محتمل**»[(١)].

وفي رأي لشيخ الإسلام ابن تيمية يقول فيه: «**فإذا كان النبي ﷺ لم يخبر بكل من (استثنى اللَّه)، لم يمكننا نحن أن نجزم بذلك، وصار هذا مثل العلم بوقت الساعة وأعيان الأنبياء، وأمثال ذلك لَم يخبر اللَّه به وهذا العلم لا ينال إلا بالخبر**»، واللَّه أعلم[(٢)]

(١) التذكرة للقرطبي صفحة ١٦٧.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٤ / ٢٦١).

حال الناس عند نفخة الصعق!!

حال الناس الذين تقام عليهم الساعة ويصعقون من نفخة الصور الأولى، قد وصفها اللَّه لنا في القرآن الكريم، وهو خير وصف من حكيم عليم خلق فسوى وقدر فهدى ويعلم السر وأخفي، بيده علم الماضي والحاضر والمستقبل، وهو أعلم سبحانه بما يكون عليه الناس عند النفخ في الصور والإذن بقيام الساعة.

يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴾.

[سورة الحج، الآيتان: ١، ٢]

الخطاب في الآية القرآنية جاء في عمومه للناس، وليس بخصوصه للمؤمنين، لأن الإنذار والتنبيه عن الزلزلة وقيام الساعة يشمل خلق اللَّه سبحانه جميعاً الكافر منهم والمؤمن والطائع والعاصي، مع العلم أن من تقوم عليهم الساعة هم من الناس المشركين الكافرين الضالين وليسوا من المؤمنين ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ ﴾ وحق له التقوى اتقوه وخافوه فإنكم لا تعلمون عن قيام الساعة ـ والتي هي المصير الحتمي لجنس البشر على الأرض ـ شيئاً وما يحدث فيها وما هو كائن وحاصل. . . إن ما هو كائن وحاصل يفوق حدَّ تخيلكم وتصوركم. . . إن الزلزلة التي ستحدث وقت قيام الساعة حيث تنفجر الأرض وتخرج أثقالها من الداخل من الحمم

والبراكين والصخور الملتهبة وتطير الجبال بعد أن تتفجَّر وتصبح عهناً منفوشاً يتطاير في الهواء، والسماوات فوقكم تتشقق وتبدو لكم كوردة من دهان حمراء قانية ـ فإذا ما رأيتم هذه الزلزلة ـ ترمي الأم وليدها ـ وليس على الأم أحب إلى قلبها وأقرب من وليدها، فترميه هاربة مطلقة ساقيها للريح هرباً وفزعاً، هذا ما تفعله بوليدها فكيف تفعل بباقي الناس؟. ومن شدة الفزع الذي يقصم الظهور ويجعل القلوب في الحناجر، تضع كل امرأه حامل ما حملت في بطنها لا تلوي على شيء هاربة إلى أين؟ لا تعلم... يا أيها الناس... وإذا نظرتم إلى الناس يومئذ يوم قيام الساعة والنفخ في الصور، وجدتموهم كالسكارى يتأرجحون يميناً وشمالاً وهم في حالة هروب وسكر يتخبطون في طريقهم لا يدرون إلى أين يذهبون، ومن شدة الفزع لا تستقيم مشيتهم ولا تحملهم أرجلهم ولا تساعدهم أقدامهم، يركضون فيقعون ثم يقفون ثم يمشون ثم يركضون لا يلوون على شيء وكأنهم في حالة سكر شديدة ـ ولكن يا أيها الناس هؤلاء ليسوا بحالة سكر وإنما هذا عذاب اللَّه تعالى.

ويقول تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ * مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ * فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴾.

[سورة يس، الآيات: ٤٨ ـ ٥٠]

تدل الآيات الكريمات من سورة يس: أن الناس عند قيام الساعة يكونون في حالة اجتماعية لا بأس بها حيث هم في حالة بيع وشراء وتخاصم تجاري ﴿وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ أي يتخاصمون في البيع والشراء، وتدل أيضاً على أن الناس يكونون كما في كل يوم اعتيادي فيه حياة وحركة وعمل وهم موزعون ما بين الطرقات والأسواق والبيوت... فإذا قامت الساعة بغتة عليهم، فلا يستطيع أي منهم أن يغلق محله

التجاري ثم يعود إلى أهله ومنزله، وكذلك أهله لا يستطيعون أن يأتوا إليه، كل في مكانه يفزع ويصعق بعد أن يرفع رأسه ويمد عنقه للحظة واحدة ليستطلع هذا الصوت الهائل (الصيحة)، أي نفخة البعث التي تأخذه وتأخذ كل من حوله من الكافرين والضالين.

ـ عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما، فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه، ولتقومن الساعة وهو يلوط حوضه، فلا يسقي منه، ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها»[١].

. . . ويبقى السؤال؟ ـ تقول الآيات الكريمات من سورة يس: إنه في لحظة قيام الساعة يكون الناس في حالة بيع وشراء وتخاصم أي أن هناك حياةً اعتيادية، فحركة البيع والشراء والأسواق تدل على هذه الحياة الاعتيادية والطبيعية، فكيف يكون هذا ورسول اللّه ﷺ يقول وفي حديث قدّمناه: عن ابن عمر رضي اللّه عنهما قال: قال رسول اللّه ﷺ: **«ستخرج نار من أرض عدن قبل القيامة. قالوا: فما تأمرنا يا رسول اللّه؟ قال: عليكم بالشام»**.

[رواه الترمذي برقم ٢٢١٧]

في هذه الحالة يكون هناك احتمالان لا ثالث لهما:

الاحتمال الأول: وهو الذي قدمنا عنه، وهو أنه لما يكتمل حشر الناس إلى أرض المحشر (بلاد الشام) بواسطة النار التي يرسلها اللّه سبحانه من اليمن، وتحديداً من قعر عدن والتي تسوق الناس إلى

(١) صحيح البخاري، كتاب الفتن فتح الباري (١٣ / ٨٢).

محشرهم، فإذا وصلوا بلاد الشام والنار من حولهم، تستقر بهم الأحوال فترة من الزمن لا ندري كم هي؟ يستقرون في بيوت ويتبايعون ويشترون لتحقيق مطالب حياتهم.. ثم تأتيهم الساعة بغتة كما في الآيات من سورة يس تأتيهم وهم يتخاصمون في الأسواق فلا يستطيعون فعل شيء ولا يستطيعون إغلاق محالهم والعودة إلى بيوتهم ورؤية أهليهم وزوجاتهم وأولادهم.

الاحتمال الثاني: كما ذكر ابن كثير في تفسيره وأيده فيه شيخ الإسلام ابن تيمية[١] وكذلك السفاريني[٢] وابن العربي الفقيه المالكي. يقول ابن كثير في تفسيره[٣] في قوله تعالى: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ أي ما ينتظرون إلا صيحة واحدة وهذه والله أعلم نفخة (الفزع).

لقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ﴾.

[سورة النمل، الآية: ٨٧]

يقول ابن كثير في تفسيره: ينفخ في الصُّور نفخة الفزع، والناس في أسواقهم ومعايشهم يختصمون ويتشاجرون على عادتهم، فبينما هم كذلك إذ أمر اللَّه عز وجل إسرافيل أن ينفخ نفخة (يطولها). فلا يبقى أحد على وجه الأرض إلا أصغى ليتاً ورفع ليتاً وهي صفحة العنق يتسمع من قبل السماء، ثم يساق الموجودون من الناس إلى محشر القيامة بالنار تحيط بهم من جوانبهم.

(١) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٤ / ٢٦٠).
(٢) لوامع الأنوار البهية (٢ / ١٦١).
(٣) مختصر تفسير ابن كثير صفحة ١٦٥ جزء ٣.

ولهذا قال تعالى: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾ أي على ما يملكونه فالأمر أهم من ذلك ﴿وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ...﴾ ثم يكون بعد هذا نفخة الصعق التي يموت بها الأحياء كلهم ما عدا الحي القيوم، ثم بعد ذلك نفخة البعث والله أعلم.

ما معنى أن الساعة ثقلت في السموات والأرض؟؟

يقول تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.

[سورة الأعراف، الآية: ١٨٧]

﴿ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ القول بأن تفسيرها يحتمل أكثر من معنى، لأن كلمة (ثقلت) المراد منها بالنسبة إلينا نحن البشرَ أمر صعب، لأنه حتماً هو فوق قدرة تحمل عقولنا، ذلك أن مجاهل السماوات تخفى عنا، وسَعة السماوات وما فيها من علم اللّه وقدرته فقط. وقد قدَّمت معاني السماء وما فيها من المجرات والعناقيد المجرية، وبما أن كل هذا سيكور وينفجر فليس الأمر هيناً.. لذلك فالأمر ثقيل وثقيل جداً على ساكني السماوات وساكني الأرض، وثقيل أيضاً على ما خلق اللّه من النجوم والكواكب مع عظيم خلقها وسعة أماكنها.. هذه الشموس الهائلة التي تتوقد بالنار والتي يبلغ حجم إحداها حجم الأرض ملايين المرات، ستكور وتنكمش وتذهب نارها وتلف وتصبح أخيراً في قبضة الرحمن، والمعنى المراد أيها البشر إن الساعة وقيامها أمر عظيم وهي ثقيلة ليس عليكم فحسب وإنما ثقيلة حتى على السماوات كلها وساكنيها.

ومنها قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ * قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا * نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا

* أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا * إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا * إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴾.

[سورة المزمل، الآيات: ١ ـ ٦]

ومعنى ﴿قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ كما في التفسير عند ابن كثير عن الحسن وقتادة أي ثقيل وقت نزوله من عظمته.. وعلى هذا نقول: إن الساعة ثقلت في السماوات من عظيم أمرها وما يكون فيها من أحداث جسام عظام.

ولنقرأ ما قاله الصحابة في قوله تعالى: ﴿ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

قال قتادة: ثقل علمها على أهل السماوات والأرض.

قال الحسن: إذا جاءت ثقلت على أهل السماوات والأرض، يقول: كبرت عليهم.

قال ابن عباس(١): ليس من الخلق إلا يصيبه من ضرر يوم القيامة.

قال ابن جريج: إذا جاء انشقت السماء وانتثرت النجوم وكورت الشمس وسيرت الجبال وكان ما قاله تعالى فذلك ثقلها.

قال ابن جرير: إن المراد ثقل علم وقتها على أهل السماوات والأرض كما قال قتادة كقوله تعالى: ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ ولا ينفي ذلك ثقلُ مجيئها على أهل السماوات والأرض.

قال السُّدي: خفيت في السماوات والأرض فلا يعلم قيامها حيث تقوم ملك مقرب ولا نبي مرسل ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾.

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ـ مختصر ابن كثير صفحة ٧٠ مجلد ١.

ما معنى أن الساعة لا تأتي إلا بغتة مع أنَّ لها أشراطاً وعلامات؟؟

بغتة: فجأة، ويقول باغتَّه: أي فاجأته.

وعند الحديث في القرآن الكريم عن قيام الساعة، جاءت كلمة ﴿بَغْتَةً﴾ (١٣) ثلاث عشرة مرة مما يدل على أهمية المراد وبأن الساعة لا تأتي إلا بغتة.

إذاً الساعة لا تأتي إلا بغتة مع أن لها أشراطاً وعلامات صغرى ووسطى وكبرى، وهذه العلامات أتت على طول التاريخ الإسلامي منذ بعثة رسول اللَّه ﷺ، ولا تزال تأتي في زماننا، وما بقي منها سيأتي فيما بعد، والعلامات الكبرى لقيام الساعة تأتي قبل قيامها بقليل... إذاً هناك علامات فكيف تأتي بغتة؟

والجواب على محورين:

المحور الأول: لا يعني قيام الساعة بغتة أن لا يكون لها أشراطٌ، ومهمة الأشراط التي قدمناها في الجزء الأول والثاني من الموسوعة أن تقربها إلى أذهان الناس، ليعلموا أن الساعة ونهاية الدنيا أصبحت قريبة فلا تمتدّ مدتها في أذهانهم إلى عشرات الآلاف من السنين، ويكفي في تقريب الساعة إلى أذهان الناس: أن رسول اللَّه ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين، أنه بعث في نفس الساعة كما أشار في الحديث الشريف إلى أصبعيه السبابة والوسطى لتقاربهما، وهذا ما

قدَّمناه عند الحديث عن أشراط الساعة. . . ومع ذلك ومهما علمنا وشاهدنا من أشراطها حتى يومنا هذا فإنها تبقى في أذهاننا أنها تأتي بغتة، طالما أننا لا نعرف القرن الذي ستكون فيه ولا السنة ولا الشهر ولا اليوم ولا الساعة ولا الدقيقة، لأن لقيام الساعة أخيراً ساعة تقوم بها وإذناً من اللَّه سبحانه في النفخ في الصُّور.

المحور الثاني: إن الساعة لا تقوم إلا على شرار الناس بعد أن يرسل اللَّه ريحاً طيبة باردة من قبل الشام تقبض روح كل مؤمن ولو كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان، وحتى لو دخل أحدهم في كبد جبل دخلت وراءه وقبضته، وفي هذا يقول رسول اللَّه ﷺ.

ـ عن النواس بن سمعان رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**فبينما هم كذلك إذ بعث اللَّه ريحاً طيبة فتأخذهم تحت آباطهم، فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون تهارج الحُمُر، فعليهم تقوم الساعة**»[(١)].

يقول تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً﴾.

[سورة يوسف، الآية: ١٠٧]

ويقول تعالى: ﴿بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا﴾.

[سورة الأنبياء، الآية: ٤٠]

ويقول أيضاً: ﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

[سورة العنكبوت، الآية: ٥٣]

(١) رواه مسلم في صحيحه كتاب الفتن، باب ذكر الدجال رقم الحديث ٢٩٣٧.

وقال سبحانه: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾.
[سورة الزخرف، الآية: ٦٦]

ولكن ما معنى قوله ﷺ في الحديث الذي رواه مسلم: «**ويبقى شرار الناس يتهارجون تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة**»؟

المراد (بتهارج الحمر) أي يجامع الرجال النساء بحضرة الناس كما يفعل الحمير ولا يكترثون لذلك.

ـ عن مرداس الأسلمي رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**يذهب الصالحون الأول فالأول وتبقى حثالة كحثالة الشعير، أو التمر، لا يباليهم اللّه بالة**»(١) ـ وفي رواية (حفالة كحفالة الشعير).

. . . هؤلاء هم الذين تقوم عليهم الساعة بغتة فتبهتهم، لأنهم لا يعرفون عنها شيئاً ولم يسمعوا بها، وإن سمع بعضهم فهو غير مكترث وغير مؤمن بها، حثالة من الناس الفجرة الكفرة تبغتهم الساعة وهم في ضلال مطلق.

هذا ونقول: أما الذين كانوا في زمن عيسى ابن مريم عليه السلام ورأوا آيات اللّه منها المهدي ـ ونزول عيسى ـ وخروج الدجال وبعدها يأجوج ومأجوج، وهذه العصابة التي هي مع عيسى ابن مريم في ذلك الوقت كما قدَّمت من حديث فقد أحرزهم اللّه من النار لتقواهم وإيمانهم وحسن أخلاقهم. . . ألا ترى أن هؤلاء الذين شاهدوا الآيات الكبرى علموا أن الساعة قد أصبحت قاب قوسين أو أدنى، أو أنها أصبحت على الباب ولا تحتاج إلى مسك

---

(١) رواه البخاري ـ النهاية لابن كثير (١ / ١٦٨).

المقبض وفتح الباب، وهؤلاء أيضاً لا يعلمون توقيتها على وجه التحديد، وإن علموا من أشراطها شيئاً، وهذا هو السر الذي يبقى في العباد جميعاً، حتى أولئك الذين شاهدوا أكبر علاماتها، وأما من تقوم عليهم الساعة كما قدَّمت فهؤلاء تأتيهم بغتة أولاً وتبهتهم بغتة لأنهم لا يعلمون عن علاماتها شيئاً وما سمعوا بالساعة ولا يملكون أقلَّ علم عنها، وكيف يعلمون وهم كما وصفهم رسول اللَّه ﷺ بأنهم حثالة كحثالة الشعير، وتبهتهم أيضاً لأنهم لا ينتظرون مثل هذا أبداً، واللَّه أعلم.

حال الأرض والجبال والبحار وقت قيام الساعة... كما جاء في القرآن الكريم

كثيرة هي الآيات الكريمة التي فصَّلت حال الأرض التي نعيش عليها وقت قيام الساعة، وجميعها تبيِّن عظيم الهول والخراب والدمار الذي يحل بأرضها ـ وجبالها ـ وبحارها ـ وأنهارها ـ وصحرائها ـ ووديانها وما بقي من آثار حياة آدمية يومئذ على ظهرها من بناء ومساكن وحدائق وطرق وجسور.

وقبل كل شيء فقد بيَّن اللَّه سبحانه أنه جعل ما على الأرض من زينة وخيرات ورزق، ليبتلي عباده ويمتحنهم، فإذا جاء وعد الآخرة ووقت قيام الساعة، فإن اللَّه سبحانه يعيد ما استخلفنا فيه إليه ويعود الإرث لصاحبه الذي وضعه أمانة بين أيدينا ومن ثم يجعل ما عليها من جبال وبحار وأنهار صعيداً جرزاً.

يقول تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۞ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴾.

[سورة الكهف، الآيتان: ٧، ٨]

صعيداً جرزاً: تراباً أجرد لا نبات فيه، ويقول تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾.

[سورة مريم، الآية: ٤٠]

ويقول تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِ، وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾ .

[سورة الحجر، الآية: ٢٣]

ويقول أيضاً: ﴿وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ .

[سورة آل عمران، الآية: ١٨٠]

١

حـال الأرض وقت قيـام السـاعـة

تفقد الأرض يوم القيامة مقومات بقائها وجمالها ووجودها، بما يحدث فيها من خراب وتشقق وذهاب لكل أثر من حياة، فلا يبقى فيها زرع ولا بهيمة ولا حدائق ولا ماء ولا أنهار ولا بحار ولا جبال، والتي تشكل مجتمعة سر جمال الأرض وسبب تمكينها وثباتها وعدم مَيَلانها وميدها.. فالأرض كل متكامل ويوم تقوم الساعة ينفي اللَّه سبحانه عنها سر بقائها وجمالها، لأن دورها الذي رسمه اللَّه لها قد توقف من حملها لابن آدم على ظهرها طوال هذه الفترة وهو يمتحن عليها.

يقول تعالى: ﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ * لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ * خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ * إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴾ .

[سورة الواقعة، الآيات: ١ ـ ٤]

ويقول تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ * وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً * فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴾ .

[سورة الحاقة، الآيات: ١٣ ـ ١٥]

ويقول أيضاً: ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ ﴾ .

[سورة المزمل، الآية: ١٤]

ويقول عز وجل: ﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴾ .

[سورة الفجر، الآية: ٢١]

ويقول سبحانه: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا * وَقَالَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَا لَهَا * يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾.

[سورة الزلزلة، الآيات: ١ ـ ٥]

كل هذه الآيات الكريمات لقيام الساعة، وحال الأرض التي نعيش عليها وقت قيامها... وكلها تقول واللَّه القائل الخبير بملكه وبالأرض وما على سطحها وما في باطنها وأعماقها يخبرنا عن نهايتها ولفظها ما في باطنها.

... وإذا عدنا قليلاً إلى علماء الجيولوجيا أو علم الجيولوجيا فكلاهما يقول: إن في باطن الأرض أتوناً من الحمم والبراكين والصخور والمعادن المنصهرة، ويقول علماء الجيولوجيا: إن درجة الحرارة في باطن الأرض تتجاوز المئات من الدرجات وما سطح الأرض إلا طبقة رقيقة نسبياً بالنسبة لطبقات باطن الأرض... واللَّه سبحانه بقدرته هو الذي بسط الأرض ومدَّها وبرَّد سطحها لتكون ساكنة بالظاهر يتعايش عليها الناس، وسلك فيها سبلاً وفجاجاً، وبسطها ودحاها فسوَّى نتوءاتها وفرشها بالتراب لتصلح معايش للناس، والآيات في هذا الأمر كثيرة نذكر منها على سبيل المثال وليس الحصر.

يقول تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا * لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾.

[سورة نوح، الآيتان: ١٩، ٢٠]

ويقول تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

[سورة الزخرف، الآية: ١٠]

ومع ذلك فلولا الجبال التي أرساها اللَّه سبحانه في الأرض فإن

سطح الأرض سيكون دائماً بحالة اضطراب ومرج وميد، ولا يمكن للحياة أن تستمر، ولا يستطيع الناس كسب معايشهم على سطحها بفعل البراكين الهائلة في جوفها وحالة الغليان والانصهار من صخورها ومعادنها الملتهبة.

يقول تعالى: ﴿ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ ﴾.

[سورة النحل، الآية: ١٥]

ويقول تعالى: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا * وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾.

[سورة النبأ، الآيتان: ٦، ٧]

فهذه الآيات الكريمات تشير إلى أن اللَّه سبحانه بقدرته مدَّ لنا الأرض وبسطها، وجعل فيها السبل والفجاج، وأرسى فيها الجبال لتكون أوتاداً للأرض، فلا تميد بنا أي تتحرك وتضطرب من تحتنا فلا نهنأ بعيش ورزق أو قل لا يمكن عندئذ للبشر الحياة فوق أرضها.

هذه النعمة الإلٰهية وهذه القدرة الإلٰهية في خلقه للأرض وتسويتها بما يصلح معاشاً للناس تبقى بأمر اللَّه فهي تعطي الكافر والمؤمن والطائع والعاصي لضرورة الابتلاء والامتحان... فإذا جاء الوعد الحق وتوقف امتحان البشر على الأرض ولم يعد لبقائها ضرورة، فإن الحال ستتغير ويُعطى لها الأمر من اللَّه سبحانه، فتكون وقت قيام الساعة كما أمرها اللَّه سبحانه وكما بيَّنَّا في آياته التي ذكرت.

فأول الأمر ترجف الأرض رجفاً شديداً وكأنها في بداية زَلزال عظيم ثم ترج رجًّا عنيفاً وهي بداية إزالة ما عليها من معالم من بيوت وقصور وعمارات شاهقة.

﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ﴾ ﴿ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا﴾ .

ثم تدك دكاً متتابعاً ثم تدق وتكسر وتتشقق وتتباعد الأرض بعد الانشقاق عن بعضها بعضاً، وربما يصبح بينها أخاديد عظيمة بفعل الدق والدك المستمر المتتابع .

﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا﴾ .

ثم تحمل هي والجبال فتدك دكة واحدة وهذا أعظم الهول كمن يرفع شيئاً ثم يخبطه على الأرض خبطاً شديداً فيتحول هذا الشيء إلى فتات متناثر .

﴿ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً﴾ وتتمة القول ﴿ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ أي بعد هذا الحمل والدك أصبح الأمر فصلاً وليس هَزْلاً، لأن الواقعة وقعت والساعة قامت والقيامة قد أزفت، وأعظم الوصف عن حالة الأرض عند قيام الساعة ما جاء في سورة الزلزلة فإن فيها من الآيات الإلٰهية والمعجزات الشيء الكثير، فيها النهاية، نهاية الحياة على الأرض وفيها البداية ـ بداية القيامة والحساب من إله هو أحكم الحاكمين وأعدل العادلين، حيث يبيِّن اللَّه سبحانه معجزاته في دك الأرض وإخراج أثقالها وفي صدور الناس بعدها أشتاتاً أي إخراجهم من باطنها ليحاسبوا حساباً دقيقاً يفوق خيال البشر لدقته وعدله سواء أكان خيراً أم شراً سواء أكان مقداره مثقال ذرة والتي لا ترى إلا بالمجهر وبعد تكبيره مئات المرات أم أكبر من ذرة أم أصغر، ولنقرأ السورة ولنتمعن آياتها ولندرك عظمتها وإعجازها .

يقول تعالى : ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ

أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَـٰلَهُمْ * فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ .

[سورة الزلزلة، الآيات: ١ ـ ٨]

يا لها من آيات عظيمة لو تمعنا فيها أو أعدنا قراءتها مراراً، لكفتنا علماً، وأدركنا حقيقة ما سيكون مستقبلاً، وهذا العلم الذي يجب أن نعلمه وندركه، والحقيقة التي لا مهرب منها ولا مناص، حقيقة الساعة والقيامة والعقاب والجزاء، والذي تدور عليه حياتنا الدنيوية، وما وجودنا جميعاً إلا لتتحقق هذه الحقيقة في النهاية.

فالأرض تزلزل زلزالاً عنيفاً وتخرج ما في باطنها من جميع أنواع الحمم والبراكين وتقذف بالصخور والمعادن الملتهبة حالة غليانها وزلزلتها إلى ما فوق الأرض بعشرات الأمتار، ثم تعود بلهيبها لتستقر على الأرض، ثم يقذف غيرها في منظر يجعل القلوب تصل إلى الحناجر هلعاً وخوفاً. . . يومئذ البشرُ على الأرض والذين تقوم عليهم الساعة يسألون بخوف وهلع ـ ماذا حصل ـ وما لها تفعل هكذا؟ وكنا نعيش عليها بسلام وأمان؟ ـ فيومئذ تُحدث أخبارها بعد أن يخرج الناس الموتى من باطنها ويأتون بأعمالهم. . يوم تقول الأرض إن اللَّه سبحانه أوحى إليَّ بما ترون من الزلازل والحمم والبراكين. . . ثم يقول اللَّه سبحانه يومئذ يخرج الناس من باطنها أشتاتاً موزعين استعداداً ليوم الفصل والحساب والعدل والذي ميزانه يزن مثقال الذرة لعظيم دقته.

. . . واللَّه سبحانه جعل لنا في حياتنا الدنيا مثل هذه الزلازل، وكم حدثت وراح ضحيتها الملايين من البشر، وما ذلك إلا ليعلم

الإنسان ما معنى زلزال الأرض عند قيام الساعة. ولو أن الأرض التي نعيش عليها لم تصبها الزلازل مئات المرات لما أدركنا معاني مثل هذه الآيات الكريمة ولكننا أدركنا ولذا نستعد لها ولكن بطاعة اللّه سبحانه.

ولنقرأ في تفسير ابن كثير وما قاله عن سورة الزلزلة وما في تفسيره من أقوال الصحابة والعلماء:

قال ابن عباس: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾: أي تحركت من أسفلها ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ يعني ألقت ما فيها من الموتى، كقوله تعالى: ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾.

وفي الحديث: «**تلقي الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة، فيجيء القاتل فيقول: في هذا قتلت، ويجيء القاطع فيقول: في هذا قطعت رحمي، ويجيء السارق فيقول: في هذا قطعت يدي، ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئاً**»(١)، وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا﴾ أي استنكر أمرها بعدما كانت قارَّة ساكنة ثابتة، وهو مستقر على ظهرها أي تقلبت الحال، فصارت متحركة مضطربة، قد جاءها من أمر اللّه تعالى ما قد أعده لها، من الزلزال الذي لا محيد لها عنه، ثم ألقت ما في بطنها من الأموات من الأولين والآخرين، وحينئذ يستنكر الناس أمرها، وتبدل الأرض غير الأرض والسماوات، وبرزوا للّه الواحد القهار، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ أي تحدث بما عمل العاملون على ظهرها، عن أبي هريرة قال: قرأ رسول اللّه ﷺ هذه الآية: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ قال: «**أتدرون ما أخبارها؟**» قالوا: اللّه ورسوله أعلم، قال: «**فإن أخبارها أن تشهد على**

---

(١) أخرجه مسلم عن أبي هريرة مرفوعاً.

كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها، أن تقول: عمل كذا وكذا يوم كذا وكذا، فهذه أخبارها»(١) .

وفي معجم الطبراني: « **تحفظوا من الأرض فإنها أمكم، وإنه ليس من أحد عامل عليها خيراً أو شراً إلا وهي مخبرة»**(٢) .

وقوله تعالى: ﴿ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ قال البخاري: أوحى لها، وأوحى إليها، ووحى لها، ووحى إليها واحد، وكذا قال **ابن عباس**: ﴿ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ أي أوحى إليها، والظاهر أن هذا مضمن بمعنى أذن لها، وقال **ابن عباس**: ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ قال لها ربها: قولي، فقالت؛ **وقال مجاهد**: ﴿ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ أي أمرها، **وقال القرطبي**: أمرها أن تنشق عنهم، وقوله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا﴾ أي يرجعون عن موقف الحساب ﴿ أَشْتَاتًا﴾ أي أنواعاً وأصنافاً ما بين شقي وسعيد، مأمور به إلى الجنة ومأمور به إلى النار، **وقال السدي**: ﴿ أَشْتَاتًا﴾ فرقاً.

وقوله تعالى: ﴿ لِّيُرَوْاْ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾ أي ليجازوا بما عملوه من خير وشر، ولهذا قال: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ . روى **البخاري** عن أبي هريرة أن رسول اللّه ﷺ قال: « **الخيل لثلاثة: لرجل أجر، ولرجل ستر، وعلى رجل وزر»** الحديث، فسئل رسول اللّه ﷺ عن الحُمُر؟ فقال: « **ما أنزل اللّه فيها شيئاً إلا هذه الآية الفاذة الجامعة**: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ »(٣) .

وروى **الإمام أحمد** عن صعصعة بن معاوية عم الفرزدق أنه أتى

---

(١) أخرجه أحمد والترمذي والنسائي.

(٢) أخرجه الحافظ الطبراني.

(٣) أخرجه الشيخان واللفظ للبخاري.

النبي ﷺ فقرأ عليه: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ قال: حسبي أن لا أسمع غيرها[١]، **وفي صحيح البخاري** عن عدي مرفوعاً: «**اتقوا النار ولو بشق تمرة ولو بكلمة طيبة**»، وله أيضاً في الصحيح: «**لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تفرغ من دلوك في إناء المستسقي، ولو أن تلقى أخاك ووجهك إليه منبسط**»[٢]، **وفي الصحيح أيضاً**: «**يا معشر نساء المؤمنات لا تحقرنَّ جارة لجارتها ولو فِرسنَ شاة**»[٣] يعني ظلفها، وفي الحديث الآخر: «**لا تردوا السائل ولو بظلف محرق**».

وعن عائشة أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**يا عائشة استتري من النار ولو بشق تمرة فإنها تسد من الجائع مسدها من الشبعان**»[٤]. وروي عن عائشة أنها تصدقت بعنبة وقالت: كم فيها من مثاقيل الذر، **وروى ابن جرير** عن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص رضي اللَّه عنهما أنه قال: لما نزلت ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ وأبو بكر الصديق رضي اللَّه عنه عنده قاعد، فبكى حين أنزلت، فقال له رسول اللَّه ﷺ: «**ما يبكيك يا أبا بكر**»؟ قال: يبكيني هذه السورة، فقال له رسول اللَّه ﷺ: «**لولا أنكم تخطئون وتذنبون فيغفر اللَّه لكم لخلق اللَّه أمة يخطئون ويذنبون فيغفر لهم**»[٥].

وروى ابن أبي حاتم، عن **سعيد بن جبير** في قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ وذلك لما نزلت هذه الآية: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾

---

(١) أخرجه أحمد والنسائي.

(٢) أخرجه البخاري.

(٣) أخرجه البخاري.

(٤) أخرجه أحمد.

(٥) أخرجه ابن جرير.

كان المسلمون يرون أنهم لا يؤجرون على الشيء القليل إذا أعطوه، فيجيء المسكين إلى أبوابهم، فيستقلون أن يعطوه التمرة والكسرة والجوزة ونحو ذلك فيردونه ويقولون: ما هذا بشيء إنما نؤجر على ما نعطي ونحن نحبه، وكان آخرون يرون أنهم لا يلامون على الذنب اليسير: الكذبة والنظرة والغيبة وأشباه ذلك، يقولون: إنما وعد اللّه النار على الكبائر، فرغّبهم في القليل من الخير أن يعملوه فإنه يوشك أن يكثر، وحذرهم اليسير من الشر، فإنه يوشك أن يكثر، فنزلت ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ﴾[١] يعني وزن أصغر النمل ﴿خَيۡرٗا يَرَهُۥ﴾ يعني في كتابه ويسره ذلك؟ قال: يكتب لكل بر وفاجر بكل سيئة سيئة واحدة وبكل حسنة عشر حسنات، فإذا كان يوم القيامة ضاعف اللّه حسنات المؤمنين أيضاً بكل واحدة عشراً ويمحو عنهم بكل حسنة عشر سيئات فمن زادت حسناته على سيئاته مثقال ذرة دخل الجنة.

وروى الإمام أحمد عن عبد اللّه بن مسعود أن رسول اللّه ﷺ قال: «**إياكم ومحقرَّات الذنوب فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه**»، وإن رسول اللّه ﷺ ضرب لهن مثلاً كمثل قوم نزلوا أرض فلاة، فحضر صنيع القوم فجعل الرجل ينطلق فيجيء بالعود والرجل يجيء بالعود حتى جمعوا سواداً[٢]، وأججوا ناراً، وأنضجوا ما قذفوا فيها[٣].

(١) أخرجه ابن أبي حاتم.
(٢) أخرجه الإمام أحمد.
(٣) مختصر تفسير ابن كثير في تفسير سورة الزلزلة.

٢

حال الجبال عند قيام الساعة

الجبال هذه الآية العظيمة من اللّه التي زين اللّه سبحانه فيها الأرض وثبتها.. هذه الجبال التي ألقاها سبحانه على الأرض وأرساها وجعلها أوتاداً.

هذه الجبال التي جعلها اللّه سبحانه لنا متاعاً وجمالاً، وجعل فيها من المنافع للبشر الشيء الكثير، وجعل فيها المعادن من الحديد والذهب والفضة منافع للناس في حياتهم الدنيا.

هذه الجبال التي جعلها اللّه سبحانه ذات أحجام وارتفاعات متفاوتة، وذات ألوان خلابة تتناسب والموقع الذي هي فيه، فمن ارتفاع جبال الهملايا في الهند حيث تصل أعلى قمة فيها إلى (٨٨٨٨) متراً إلى مناطق لا يتجاوز ارتفاعها أمتاراً معدودة، وكذلك ألوانها تختلف باختلاف الأرض والبيئة فمن الأصفر إلى البني إلى الأسود إلى الأخضر والأحمر والأرجواني، ومناظرها ومنافعها تمتع الإنسان في حياته الدنيا.

قال تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ۞ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ۞ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ۞ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾.

وأما عظيم خلقها حيث يقف الإنسان أمامها مذهولاً من هذه القدرة الإلٰهية! حيث يصل الجبل الواحد في ضخامته إلى آلاف الأمتار طولاً وعرضاً وضخامة!!

... كل هذا يتحول عند قيام الساعة إلى سراب وهباء وعهن منفوش كل هذه الجبال والتي يزن الجبل الضخم الواحد منها آلاف الملايين من الأطنان تتحول عند قيام الساعة إلى سراب وإلى قاع صفصف لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً، دون ديناميت ولا متفجرات ولا قنابل ولا طائرات إنما من وحي لها من ربها.

﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾.

يقول تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا * فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا * لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾.

[سورة طه، الآيات: ١٠٥ ـ ١٠٧]

وإذا نسفت الجبال ومهما كانت صلبة وشاهقة فإنها تتحول إلى فُتات وتراب وهباء.

يقول تعالى عن حال الجبال عند قيام الساعة:

﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾.

[سورة الكهف، الآية: ٤٧]

نسيّر الجبال: نحرك الجبال من أماكنها.

﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾.

[سورة النمل، الآية: ٨٨]

والمعنى هذه الجبال القوية الجامدة في أماكنها ستكون كالسحاب الذي يسير بسرعة.

﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا * وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا﴾.

[سورة الطور، الآيتان: ١٠، ١١]

تمور السماء: تضطرب وتدور كالرحى ـ تسير الجبال: تتحرك من مكانها.

﴿ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا * وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴾.

[سورة الواقعة، الآية: ٥]

رجّت الأرض: زلزلت وحركت تحريكاً شديداً ـ وبست الجبال: فتتت الجبال.

﴿ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ * وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴾.

[سورة المعارج، الآيتان: ٩، ١٠]

الجبال كالعهن: كالصوف المصبوغ ألواناً.

﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ ﴾.

[سورة المزمل، الآية: ١٤]

ترجف الأرض والجبال: تضطرب وتزلزل.

﴿ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴾.

[سورة المزمل، الآية: ١٤]

كثيباً مهيلاً: رملاً مجتمعاً سائلاً منهالاً.

﴿ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴾.

[سورة المرسلات، الآية: ١٢]

الجبال نسفت: قلعت من أماكنها بسرعة.

﴿ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴾.

[سورة النبأ، الآية: ١٤]

فكانت سراباً: كالسراب الذي لا حقيقة له.

﴿ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴾.

[سورة القارعة، الآية: ٥]

كالعهن: كالصوف المصبوغ بألوان مختلفة[١].

كل هذه الآيات الكريمات تشير إلى أن أمراً عظيماً وجللاً سيحدث لهذه الجبال الراسيات والرواسي الشامخات، والتي هي ثابتة جامدة عند قيام الساعة راسية في مكانها ولكنها كما قال تعالى: ﴿تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ﴾ ثم تفتت إلى قطع صغيرة جداً ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ﴾ ثم تتحول إلى ما يشبه قطع الصوف الصغيرة الملونة التي تتطاير في السماء لخفتها، ثم تتفتت هذه الفتات حتى تتحول إلى حبات رمل مجتمعة ﴿كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ ثم تكون في النهاية سراباً لا حقيقة ولا وجود لها وكأنها لم تكن ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾.

هذه هي حقيقة الجبال عند قيام الساعة، وما ذلك إلا كي تسوّى الأرض بعد أن تلقي أفلاذ أكبادها من الموتى الذين دفنوا في باطنها وعلى مدى ألوف السنوات، والذين يبلغ عددهم المليارات، بعد أن تتلقى الأمر من اللّه سبحانه. يقول تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ * وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ * وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾.

[سورة الانشقاق، الآيات: ٣ ـ ٥]

ويقول ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ أي تصير ككثبان الرمال بعدما كانت حجارة صماء، ثم إنها تنسف نسفاً فلا يبقى منها شيء إلا ذهب حتى تصير الأرض ﴿قَاعًا صَفْصَفًا * لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا﴾ ـ أي وادياً ـ ﴿وَلَآ أَمْتًا﴾ أي رابية، ومعناه لا شيء ينخفض ولا شيء يرتفع.

ويقول أيضاً في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ أي كقوله تعالى: ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾ وقال ههنا:

---

(١) معاني الكلمات وبيانها: من كتاب كلمات القرآن الكريم للشيخ حسنين محمد مخلوف.

﴿فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ أي تُخَيَّلُ إلى الناظر أنها شيء وهي ليست بشيء وبعد هذا تذهب بالكلية فلا عين ولا أثر.

وقال في تفسير: ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾ يعني صارت كأنها الصوف المنفوش الذي قد شرع في الذهاب والتمزق، قال مجاهد: ﴿كَٱلْعِهْنِ﴾ الصوف[١].

(١) مختصر ابن كثير في تفسيره لسورة المزمل والنبأ والقارعة.

٣
حال البحار عند قيام الساعة

البحار ثلاثة أرباع الكرة الأرضية أو أربعة أخماسها أي إنها تشكل معظم الأرض.. وما ذكرت عن دمار ودك وزلزال الأرض وتسيير الجبال وتحويلها إلى سراب، فهذا كله حاصل فقط في ربع الكرة الأرضية فكل هذا الدمار الهائل ونحن لا نزال في ربع الكرة الأرضية.

فماذا عن البحار والتي تشكل الجزء الأكبر فهل تبقى على حالها أم يصيبها كما أصاب الأرض والجبال من الدمار والزلازل والرج والانشقاق.

هذه البحار الرائعة بخيرها وجمالها وما خلق اللَّه فيها من ملايين الأنواع من الحيوانات البحرية والإسفنجية والمرجانية، سخرها سبحانه للبشر على هذه الأرض، هذه الحياة العامرة في تلك البحار الرائعة والتي خلقها اللَّه سبحانه... فقد أنعم علينا سبحانه أبناء هذا الجيل أننا رأينا جانباً منها بواسطة ثياب الغطس والتصوير وبواسطة آلات الغطس الجبارة كالغواصات والسفن الحديثة. فمتعنا اللَّه سبحانه برؤية هذه الحياة العامرة في البحار ورأينا بأم أعيننا قدرة اللَّه في الخلق فحبانا دون غيرنا لنرى هذه العظمة وهذه النعمة... وليس هذا فحسب ولكن بواسطة هذه التكنولوجيا والآلات الحديثة تمتعنا بأكل لحوم البحار من شتى الأصناف والأنواع ما لم يحظ به أحد غيرنا..

وكل هذا نعمة لنا ولمن سيأتي بعدنا، وكل هذا سخَّره اللَّه لنا كما سخر لنا الأرض وما فيها والسماوات وما فيها.

وطيَّع قانون الماء وكثافته لتطفو عليه أخشاب الأشجار فنصنع منها الفلك (القوارب) فنستطيع السير في البحار واستغلال ما فيها من خيرات عظيمة.

يقول تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴾.

[سورة إبراهيم، الآية: ٣٢]

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا ﴾.

[سورة النحل، الآية: ١٤]

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ ﴾.

[سورة لقمان، الآية: ٣١]

ويبيِّن اللَّه سبحانه لنا أنه سخر لنا الفلك والبحار والأرض والسماوات جميعاً منه رحمة ونعمة وكرماً وعطاء من إلٰه كريم رحيم.

يقول تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۞ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾.

[سورة الجاثية، الآيتان: ١٢، ١٣]

. . . كل هذه النعم في هذه البحار سخرها اللَّه سبحانه لنا في حياتنا الدنيا، ستتحول عند قيام الساعة إلى دمار وخراب وأتّون من النار الملتهب تسعَّر وتسجر وتحترق وتشتعل فيها النيران اشتعالاً، فتبدو معها الأرض كلها تحترق في هذا الأتون الهائل من النيران.

. . . ولقد قدَّمت في فقرة سابقة من هذا الجزء لموسوعة الآخرة معنى قوله تعالى: ﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ﴾ في التفسير العلمي الحديث بعد أن اكتشفوا أخاديد النار والحمم في قاع كل بحار العالم.

﴿وَٱلطُّورِ * وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ * فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ * وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ * وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ * وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ﴾.

[سورة الطور، الآيات: ١ ـ ٦]

البحر المسجور: هو البحر المشتعل بالنار وهذه خاصية لا تكون بأمر اللَّه إلا عند قيام الساعة حيث يعطي اللَّه الأمر باشتعالها وتسجيرها وفي تذكير لما قلت: عن الاكتشافات العلمية والبحار المسجرة بالنار.

لقد أثبت العلم الحديث عن طريق السفن الغواصة وجود أخاديد تخرج منها النار والحمم في أعماق البحار في أوائل القرن العشرين. . ولما تقدم العلم وكثرت النظريات التطبيقية والعلمية، وجدوا أن تلك الحمم والبراكين والصدوع والشقوق الموجودة على سطح الأرض مهمتها جميعاً حفظ توازن الأرض. وبما أن البحار تشكل أربعة أخماس الكرة الأرضية وهي الجزء الأكبر من الأرض. . فمن الطبيعي وجود صدوع وشقوق وأخاديد في قاع البحار مهمتها أيضاً التنفيث عن تلك الحمم التي تغلي في أعماق الكرة الأرضية[١] . . . لقد عرف العلماء بوجود تلك الأخاديد منذ عشرات السنين فقط ولكنها موجودة بقدرة اللَّه منذ ملايين السنين ومنذ خلق اللَّه سبحانه الأرض.

---

(١) راجع كتاب المعرفة (البحار والمحيطات) الهيئة العامة للكتاب ـ القاهرة.

إذاً اللّه سبحانه هو العالم بحال الأرض وبحارها فهو الأول والآخر، وهو الذي خلق وهو أعلم بما خلق، وأعلم ببقاع البحار وأعلم بتلك الحمم والأخاديد التي تحفظ الأرض في الحياة والتي تكون سبباً لاشتعال البحار وتسجيرها يوم القيامة مع الشمس التي تتعاون وتلك الأخاديد لاشتعال البحار.

اشتعال البحار بالنار
عند قيام الساعة ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾

يقول تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ * وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ * وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ * وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ * وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾.

[سورة التكوير، الآيات: ١ ـ ٦]

كل هذه الآيات تكون عند قيام الساعة وما نحن بصدده من هذه الفقرة قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾.

وقبل أن أدخل المدخل العلمي في تفسير هذه الآية الكريمة لنستعرض ما قاله الأولون من المفسرين قبل أن تكتشف معاني الآية الكريمة علمياً.

قال ابن عباس: يرسل اللَّه سبحانه عليها الرياح الدبور فتسعرها وتصير ناراً تأجج.

وفي سنن أبي داود: «لا يركب البحر إلا حاج أو معتمر أو غاز فإن تحت البحر ناراً وتحت النار بحراً» الحديث... **وقال مجاهد**: ﴿سُجِّرَتْ﴾ أوقدت.

وقال الحسن: يبست، **وقال الضحاك وقتادة**: غاض ماؤها فذهب فلم يبق فيها قطرة، **وقال الضحاك** أيضاً: ﴿سُجِّرَتْ﴾ فجرت، **وقال السدي**: فتحت وسجرت(١)، هذا ما قاله الأولون رحمهم اللَّه

(١) مختصر تفسير ابن كثير صفحة ٦٠٥ مجلد ٣.

وزادهم فضلاً في تفسير ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ فتفسيرهم جاء أكثره من معاني اللغة حيث لم تكن لهم كما لنا نحن اليوم هذه الأدوات الضخمة العلمية والتكنولوجية التي ساعدتنا في تفسير هذه الآية الكريمة.

التفسير العلمي الحديث
للآية الكريمة ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾

﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾.

إنها آية من آيات اللَّه المعجزات من لدن عليم خبير يعلم سر الخلق بدايته ونهايته، فإذا كانت هناك آيات في قدرة اللَّه في البحار فقد أظهرها اللَّه لخلقه ونفذ وعده الذي قال فيه:

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾.

[سورة فصلت، الآية: ٥٣]

وقد أوضحت وفصلت آيات اللَّه في البحار وكيف تم معرفتها عن طريق العلم والاكتشاف وضمن إرادة اللَّه سبحانه كالبحر المسجور.

وأما هذه الآية الكريمة من سورة التكوير التي يتحدث فيها اللَّه سبحانه عن علامات وأمارات يوم القيامة وهي علامات عظمى تحدث وقت قيام الساعة، يوم لا ينفع نفساً إيمانها إن لم تكن قد آمنت من قبل، يقول تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ * وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ * وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ * وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ * وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾.

[سورة التكوير، الآيات: ١ ـ ٦]

آيات عظيمة يُخبرنا اللَّه سبحانه وتعالى ماذا سيحدث مستقبلاً وعند قيام الساعة من انفجار كامل للكون وانفلات قانونه المحكوم

بقدرة اللَّه وتفكك للهندسة الإلٰهية الرائعة التي تضبط السماء ونجومها والأرض وجبالها وبحارها.

وهذا لا يمكن أن يكون إلا من الخالق نفسه ولا يمكن أن يكون من عند رجل، حتى لو جمع فيه ذكاء عقول أهل الدنيا كلها من أول رجل إلى آخر رجل ومعهم الجن أيضاً، إنه تقدير مستقبلي عظيم. وحينما يتكلم الإنسان عن شيء فإنه لا يستطيع تجاوز عقله أولاً وبيئته ثانياً، فلا يستطيع أن يخبر بأكثر مما يحيط به وفي ساعتها فقط، ولا يستطيع أن يتجاوز أصابع يده في الرأي لا أن يمتد به الخيال فيخبر عما هو أكبر من قدرته وطاقته ويتناول بتقدير كيف تكور الشمس ويذهب ضياؤها وتنكدر النجوم ويختفي لمعانها، وأن البحار ستشتعل بالنيران وتحشر الوحوش وتكشط السماء.

وأنا كمسلم حينما أقرأ هذه الآيات أعلم تماماً أنها من عند اللَّه لأني إنسان ولي عقل، وأعلم أن عقلي لا يستطيع أن يتجاوز حجمه وقوته، وأعلم أني لا أستطيع أن أخبر بما سيحدث غداً ضمن بيتي وليس ضمن العالم، ومن هنا تأكدت أن هذا الكلام لا يمكن أن يكون من عند محمد ﷺ وأنه لا بُدَّ أن يكون من عند عليم حكيم.

تفسير الآية: ﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾.

وإذا: شرطية حذف فعل الشرط لوجود ما يدل عليه (سُجِّرتْ).

البحار: جمع بحر أي كل البحار.

سُجِّرتْ: اشتعلت، والاشتعال لا يكون إلا بالنار.

هذه الآية قلنا: إنها تقدير مستقبلي من اللَّه تعالى عما سيحدث في البحار لحظة قيام الساعة أو قبلها بقليل. نعم هذه الآية العظيمة ليس فيها سر إعجازي اكتشف أمام أعيننا في هذه الأيام كمعرفة

البرزخ في قوله تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾.

[سورة الرحمن، الآيتان: ١٩، ٢٠]

أو كمعرفة الحاجز والحجر المحجور في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾.

[سورة الفرقان، الآية: ٥٣]

لأن هذا سيحدث في آخر الزمان وقد يكون بعد آلاف الأعوام أو مئاتها أو عشراتها، وذلك في علم اللَّه سبحانه وتعالى ولكن هناك إشارات علمية تقول: إن هذا سيحدث في يوم مؤكد الحدوث وذلك لسببين:

١ ـ أن جميع البحار يوجد في قاعها أخاديد من النار تخرج من قاع البحار، وتقل في بحر وتزيد في بحر وهذا ما ذكرته عن البحر المسجور وقلت: إن البحر الأحمر بالذات تطول فيه هذه الأخاديد وهي ممتدة من شماله حتى جنوبه، وقد يزيد طول بعض الأخاديد عن خمسين متراً، وهذه حقائق لم تعد خافية على أحد فقد تم تصويرها وعرضت على أجهزة التلفاز في شتى أنحاء العالم.

ويعني هذا أن البحار تُسَجّرُ الآن على البطيء وحينما يأتي أمرُ اللَّه تزداد هذه البحار تسجيراً بأمره وتقوى هذه الأخاديد حتى تستطيع بقدرة اللَّه إشعال البحار جميعها وتسجيرها قاطبة.

٢ ـ سورة التكوير تبدأ بقوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ ومعنى كورت أي تكورت والتفَّت على بعضها فهي تكور وتصغر ثم يذهب ضوؤها ويختفي، أما علماء الكون جميعهم فيقولون: إن الشمس سيأتي عليها يوم سواء أكان بعد مليون سنة أم مليار سنة ينتهي فيها غاز النيتروجين وعليها تصبح شمسنا بلا ضوء وحرارة، ويصبح كوكبنا معتماً لا فائدة منه.

هذه الواقعة قائمة لا حِوَل عنها، وإن كان الخلاف حول وقت حدوثها، المهم العلم يقول: إن البحار ستشتعل بالنار والسبب الشمس، أما كيف؟

فإنهم يقولون: إن الشمس حينما ينتهي غاز النيتروجين منها تنتهي فيها الحرارة الهائلة تدريجياً وعند لحظة الانطفاء الكامل تتوهج توهجاً هائلاً ثم تخمُد نهائياً، وعند حالة التوهج الهائل تعطي حرارة على الأرض أضعاف ما هي عليه الآن، وعليه فإن البحار ستشتعل جميعاً، وضربوا لها مثلاً: «**إنك لو أوقدت شَمَعة وراقبتها حتى النهاية، فإنك تجد أن الشمعة عند اللحظة الأخيرة تتوهج توهجاً زائداً وتعطي أضعاف النور والحرارة ثم تنطفئ**»

وهذا الرأي العلمي يدل على أن الشمس ستكون سبباً في اشتعال البحار، وستكون الشقوق والأخاديد البركانية والحمم في قاع البحار سبباً آخر في اشتعال البحار والله أعلم[(١)].

(١) من كتاب آيات الله في البحار (ماهر أحمد الصوفي) صفحة ١٣٠ ـ ١٣٤.

تفجير البحار
عند قيام الساعة ﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴾

. . . تفجير البحار يختلف كلياً عن تسجير البحار. . فالتسجير قد عرفناه وهو اشتعال البحار جميعاً بالنار. . فما معنى تفجير البحار؟؟

. . . يحفظ اللَّه سبحانه في الحياة الدنيا بقدرته البحار أن تضطرب وتتفجر وتخرج عن قانونها المسيرة به. . . فاللَّه سبحانه خلق كل ما في البحار من ثروة حيوانية وسمكية ومرجانية وعشبية. . . وحجز البحار عن بعضها من أجل أن لا تختلط وتختلط معها الحياة البحرية، إذ جعل اللَّه سبحانه في كل بحر حياة خاصة معزولة عن الحياة الأخرى في البحر الآخر بواسطة (برزخ) حاجز وضعه سبحانه بين البحار وبين كل بحرين والتفسير العلمي لهذا يطول.

يقول تعالى: ﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۞ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴾.

[سورة الرحمن، الآيتان: ١٩، ٢٠]

أي إن اللَّه سبحانه جعل بين البحرين حاجزاً حتى لا يبغيَ بحر على بحر أي كي لا تختلط حياة هذا البحر بهذا البحر.

ويقول تعالى: ﴿ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.

[سورة النمل، الآية: ٦١]

يؤكد اللَّه سبحانه وجود الحاجز بين البحرين. . ولقد أثبت

العلم اليوم وجود هذا الحاجز، وهو عبارة عن بحر ثالث بعرض (١٥) كيلو متراً يختلف في كل شيء عن حياة البحرين اللذين يفصل بينهما. . من حيث الكثافة والملوحة والحياة الحيوانية والمرجانية والعشبية، هذا الحاجز وبقدرة اللّه يمنع اختلاط البحرين، وبين كل بحرين جعل اللّه مثل هذا الحاجز.

. . . وكل هذه الدقة عند قيام الساعة تنتهي حيث يفجر اللّه سبحانه البحار ويلغي الحاجز بينها، وتختلط المياه والحياة البحرية، وتموج وتضطرب الحياة في البحار والمحيطات[1] .

ولنقرأ تفسير الأولين من الصحابة والعلماء لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ ثم نتحول إلى التفسير العلمي لتفجير البحار عند قيام الساعة.

يقول تعالى: في علامات الساعة ويوم القيامة: ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ .

[سورة الانفطار، الآيات: ١ ـ ٥]

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ ما يخص موضوعنا.

قال ابن عباس: فجر اللّه بعضها في بعض. **وقال الحسن:** فجر اللّه بعضها في بعض فذهب ماؤها. **وقال قتادة:** اختلط عذبها بمالحها. **وقال الكلبي:** ملئت[2] .

(١) راجع كتابنا آيات الله في البحار في تفسير الحاجز الذي وضعه الله بين البحرين ص ٣٣.

(٢) مختصر تفسير ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ **وإذا البحار فجرت**﴾ جزء ١ ص٦١.

التفسير العلمي الحديث للآية الكريمة ﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴾

﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴾ .

وهذه أيضاً حقيقة واقعة يتوقع العلم حدوثها عندما تسجَّرُ البحار وتنفلت من قانونها، عندما تصبح كل الأشياء خارجة عن القانون بأمر من اللّه وتختلط كل الأوراق، ومنها تنفلت البحار من قانونها؛ وذلك لأن الحياة الأرضية تكون قد انتهت ولا داعي لوجود مثل هذه القوانين في البحار فهي موضوعة لاستمرار الحياة على الأرض، فحينما تتوقف الحياة على الأرض لم يعد وجود الأشياء وانضباطها ضرورياً، فالجبال هي أوتاد الأرض تطير وتصبح كالفراش المبثوث، والنجوم تنكدر والكواكب تنتثر والبحار تفجر والإنسان لم يعد يستطيع الاعتذار لقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ۞ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴾ .

[سورة الرحمن، الآيات: ٣٧ ـ ٣٩]

وأما عن الفرق بين قوله تعالى في علامات الساعة: ﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴾ .

فالآية الأولى يحتم اللّه اشتعال البحار كلها الأبيض والأحمر والأطلسي والهادئ والأسود والأدرياتيك وغيرها بالنار فتصبح كتلة نارية هائلة جداً وقد فصلت ذكرها فيما سبق.

وأما قوله: ﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴾ .

فهي تحوي معنى واسعاً والله أعلم، فكلمة (فُجِّرت) لها معان كثيرة غير كلمة (سُجرت) التي لا تحمل إلا معنى الاشتعال بالنار.

أقول تفجرت الأمور: أي انفلت قانون انضباط الأمور واختلط الحابل بالنابل.

وأقول تفجرت القنابل: أي انفلتت انضباطها الموضوع من صِمَام الأمان وأحدثت خراباً ودماراً وفتكاً.

وأقول الانفجار الكبير: وهذا اصطلاح استعمله العلماء لحظة نشوء الكون فحدث انفجار وانشطار هائل في كتلة هائلة أي خرجت هذه الكتلة عن هدوئها وتفجرت.

ونفهم من هذا أن كلمة (فُجِّرت) أي خروج البحار عن قانونها الوضعي المحكومة به الآن لاستمرار الحياة على الأرض، ولحظة انفجارها يتم ضياع القانون في وجود حواجز بين البحار المالحة ووجود الحواجز بين البحار والأنهار العذبة ووجود الحواجز بين البحار وبين المحيطات، فتختلط مع بعضها وتصبح المياه العذبة مالحة والمالح يختلط مع العذب وتدخل مياه البحار مع بعضها، وتصبح أمواجه كالطَّود العظيم أو كالجبال الشامخات، وتموت الحيوانات البحرية بآلاف أنواعها التي تعيش في البحار والتي سخرها الله للإنسان وتصبح ساعتها الحياة مستحيلة في البحار وفي اليابسة.

والعلماء في هذا الموضوع غير معارضين، بل أكثرهم يؤيد اشتعال البحار وانفجارها، إذاً ما جاء به القرآن من إعجاز ـ وإن كان عن المستقبل ـ فهو محتم الوقوع، والله أعلم[١].

---

(١) كتاب آيات الله في البحار (ماهر أحمد الصوفي) صفحة ١٣٧ ـ ١٣٨.

حال السماوات عند قيام الساعة

مدخل: معجزة الخلق الإلٰهي للسماوات:

ما الأرض وجبالها وبحارها وأنهارها إلا كوكباً واحداً يسبح هو وكامل كواكب المجموعة الشمسية في جزء يسير جداً من السماء حتى إن مجرتنا التي ننتمي لها والتي تحوي كما يقول علماء الفلك أكثر من مائتي مليار نجم (شمس) تقبع في أقصى جنوب السماء في منطقة تكاد لا تذكر أمام حجم السماء وما فيها من آلاف المليارات من المجرات والتي تحوي كل منها على مليارات النجوم.

هذه السماوات على عظيم مِساحتها ومواقع نجومها، والتي أقسم اللّه سبحانه بها لعظيم أمرها بأن القرآن كتاب كريم أنزله اللّه سبحانه إلى الأرض هادياً ومبشراً ونذيراً.

يقول تعالى مبيِّناً عظيم أمر مواقع النجوم التي في السماء: ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ * وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾.

[سورة الواقعة، الآيتان: ٧٥، ٧٦]

وكذلك يبيِّن اللّه سبحانه لنا بآيات كثيرة، عظيمَ أمر السماء وما فيها واتساعها العجيب.. وأنها محبوكة حبكاً عظيماً إلٰهياً، وأنها شديدة في متانتها.. وهذه بعض الآيات الكريمة التي تبيِّن عظيم أمر السماء عند اللّه سبحانه.

يقول تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ * إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴾.

[سورة الذاريات، الآية: ٧]

﴿ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴾ .

[سورة النبأ، الآية: ١٢]

﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴾ .

[سورة البروج، الآية: ١]

﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّـٰهَا لِلنَّـٰظِرِينَ ﴾ .

[سورة الحجر، الآية: ١٦]

﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَـٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ .

[سورة الذاريات، الآية: ٤٧]

﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَـٰهَا وَزَيَّنَّـٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴾ .

[سورة ق، الآية: ٦]

وكثيرة جداً الآيات التي يتحدث فيها اللَّه سبحانه عن معجزة الخلق في تلك السماوات وفي السماء الدنيا. . . .

كل هذا. . . سيؤول إلى دمار وانفطار وانشقاق وانفجار عند قيام الساعة حتى تتحول السماء إلى كتلة ملتهبة تسيل بحممها حتى تصبح للعيان كوردة حمراء سائلة تغطي السماء كلها ثم يطويها اللَّه سبحانه جميعاً في يمينه ثم يبدلها سبحانه بسماوات أخرى وهذا ما سيأتي في حينه عند الكلام عن يوم القيامة.

والآن كيف تبدو تلك السماوات العظيمة عند قيام الساعة كما جاء في القرآن الكريم؟ وكيف تحدث اللَّه سبحانه عن انشقاقها ومورانها وانفجارها وانفطارها؟

آيات انشقاق السماوات وانفطارها عند قيام الساعة

يقول تعالى: ﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا﴾.

[سورة الطور، الآية: ٩]

﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ﴾..

[سورة الرحمن، الآية: ٣٧]

﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ...﴾.

[سورة الحاقة، الآية: ١٦]

﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا﴾.

[سورة المزمل، الآية: ١٨]

﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ...﴾.

[سورة المرسلات، الآية: ٩]

﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا...﴾.

[سورة النبأ، الآية: ٩]

﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ...﴾.

[سورة التكوير، الآية: ١١]

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ...﴾.

[سورة الانفطار، الآية: ١]

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ * وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾.

[سورة الانشقاق، الآيتان: ١، ٢]

هذه آيات كريمات ذكرها اللَّه سبحانه في كتابه المعجز يبيِّن فيها

ما يكون من أمر السماء عند قيام الساعة.. وهو العليم الخبير.. أعلم بما خلق ومتى خلق وهو أعلم بما ستؤول إليه السماوات عند قيام الساعة.

ومن عظيم قدرة اللَّه سبحانه في خلقه للسماوات، وما ذكرنا عنها بياناً من علماء الفلك، وأن فيها ما فيها من العظمة والقدرة، إلا أنها جميعاً أي السماوات لا تشكل أخيراً شيئاً أمام قدرة اللَّه سبحانه.

يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾.

[سورة ق، الآية: ٣٨]

لغوب: تعب أو إرهاق أو ما شابه.

لذلك أمر تبديلها يوم القيامة فيما يأتي ذكره عند الحديث عن هذا اليوم لا تشكل عند اللَّه سبحانه إلا أن يقول للشيء كن فيكون.

وفي حديث لرسول اللَّه ﷺ يبيِّن لنا فيه بعضاً من قدرة اللَّه وعظمته وسعة ملكه، ولا أقول سعة السماوات، فالسماوات جزء يسير من ملكه العظيم.

يقول رسول اللَّه ﷺ: «**ما السماوات السبع للكرسي إلا كحلقة ملقاة في فلاة، وما السماوات السبع والكرسي للعرش إلا كحلقة مرماة في فلاة**»[(١)].

وصدق اللَّه سبحانه إذ يقول: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٢٥٥]

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٥ / ٣٤٢).

ما هذه العظمة الإلٰهية التي تعجز عقول البشر عن فهمها وإدراكها، ويحار الفهم في قدرتها، وأي قدرة تستطيع أن تفهمها وعلماء الفلك كل يوم في اكتشاف جديد وعلم جديد، كلما ظنوا أنهم وصلوا إلى نهاية الطريق في علم الفلك فإذا بهم أمام اكتشاف جديد يعيدهم أطفالاً يحبون على الأرض(١).

(١) اكتشف علماء الفلك في فرنسا عام ١٩٩٥ تجمع مجرات جديد يحتوي على ٢٧ ألف مجرة تحوي كل مجرة تقديراً على أكثر من مائة مليار نجم على محيط ٢٩٠ مليون سنة ضوئيّة وتبعد عن مركز الأرض ملايين السنوات الضوئية، وللعلم الثانية الضوئية الواحدة (٣٠٠ ألف كم)!! وهذا الخبر أوردته وكالات الأنباء العالمية.

بيان وتفسير آيات انشقاق السماء وانفطارها عند قيام الساعة

عند بيان وتفسير آيات انفطار السماوات وانشقاقها عند قيام الساعة كما وردت في القرآن الكريم ندرك عندها ما يحل في السماء من دمار هائل لتنتهي أخيراً في قبضة الرحمن.

أولا: يقول تعالى: ﴿ يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ﴾ .

[سورة الطور، الآية: ٩]

قال ابن عباس: تتحرك تحريكاً، **وقال مجاهد:** تدور دوراً، **وقال الضحاك:** استدارتها وتحركها لأمر اللَّه وموج بعضها في بعض، **وقال ابن جرير** في تفسيره: هي التحرك في استدارة.

أي هي كالزوبعة الشديدة التي تأتي وتدور حول نفسها بعنف وتدمر كل شيء حولها ثم تستقر في النهاية في مكان وتصغر وتتلاشى.

ثانياً: يقول تعالى: ﴿ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴾ .

[سورة الرحمن، الآية: ٣٧]

﴿ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴾ أي بعد انشقاقها ـ أي تذوب كما يذوب (الدُّرْدي) وهو ما يركد في أسفل كل مائع كالشراب والدهان والفضة ـ والزيت في السبك، وتتلون كما تتلون الأصباغ التي يدهن بها، فتارة حمراء وصفراء وتارة زرقاء وخضراء وذلك من شدة الأمر وهول قيام

الساعة وتفجر النجوم والكواكب والنيازك والأقمار، **وقال ابن عباس**: ﴿وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ كالأديم الأحمر، **وقال الحسن البصري**: تكون ألواناً، **وقال السدي**: تكون كلون البغلة الوردة، وتكون كالمهل كدردي الزيت، **وقال مجاهد**: ﴿كَالدِّهَانِ﴾ كألوان الدهان، **وقال ابن جريج**: تصير السماء كالدهان الذائب وذلك حين يصيبها حر جهنم.

... من مجموع هذه التفسيرات ينتج معنا أن السماء تتفجر بنجومها العملاقة وكواكبها العظيمة، ولكثرة عدد النجوم والكواكب والتي هي بالمليارات تصبح السماء ذات ألوان كألوان الطيف ويغلب عليها اللون الأحمر، لأن الحمم والبراكين إذا اشتد أُوارها لا تقذف إلا الحمم الحمراء المخلوطة بالنار، وهذا مصير السماء حتى تبدوَ لمن يراها يومئذ كأنها وردة حمراء وصفراء وخضراء مصبوغة بالألوان كما تصبغ ألوان الدهان.

ثالثاً: يقول تعالى: ﴿وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ * وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾.

[سورة الحاقة، الآيتان: ١٦، ١٧]

كلمة ﴿وَانشَقَّتِ﴾ في الآية الكريمة كلمة واحدة ولكن لها معان عظيمة كما قدَّمنا في آيات أخرى... ولكن المتابع للتفسير يجد أن كلمة انشقت التي أتت في أكثرَ من آية... تحمل في كل آية معنى تفسيرياً آخر يضاف إلى المعاني الأخرى، والسؤال يبقى لماذا لم يستعمل اللّه سبحانه بدلاً من انشقت كلمة تفجرت مثلاً أو تصدعت أو تفتتت؟؟

والجواب: إن كلمة انشقت لا تكون والعلم عند اللّه إلا لشيء متين جداً وقوي جداً يصعب اختراقه أو تمزيقه أو تصدعه أو انفجاره،

لذلك نجد أن اللّٰه سبحانه عندما يتحدث عن السماء وبنائها يتحدث عن قوة السماء وتماسكها فشبهها تعالى بالسقف مرة.

يقول تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ﴾.

[سورة الأنبياء، الآية: ٣٢]

ويقول تعالى عن بنيان السماء وأنها ليس لها فروج أي فتوق وشقوق:

﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾.

[سورة ق، الآية: ٦]

وفي سورة الملك يبيّن اللّٰه سبحانه عظمة السماوات وقوتها وتماسكها وأنها طباق بعضها فوق بعض:

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ * ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾.

[سورة الملك، الآيتان: ٣، ٤]

ووصفها اللّٰه تعالى بالشديدة.

يقول تعالى: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾.

[سورة النبأ، الآية: ١٢]

وكثيرة هي الآيات الكريمات في هذا الخصوص.

... فرغم كل هذا البنيان العظيم للسماء وأنها ليس لها فروج، شديدة ـ طباق ـ سقف محفوظ ـ وليس فيها تفاوت.. ومع ذلك تصبح عند قيام الساعة ﴿وَاهِيَةٌ﴾ ضعيفة متداعية، بعد هذا الإحكام. . يأمرها اللّٰه سبحانه فتتشقق من أمره بعد كل هذا الربط العظيم فتوهى وتضعف وتسرع إلى يمين الرحمن فيطويها جميعاً

بيده.. هذه السماوات والتي فيها مليارات المليارات من النجوم والكواكب والتي يبلغ حجم كل نجم فيها ما يزيد عن مليون مرة حجم الأرض التي نعيش عليها!!

... تصور هذه الأعداد الهائلة من النجوم (الشموس) التي تتوقد ناراً وحمماً تصبح من أمر اللَّه طائعة ذليلة تسعى إلى حتفها ونهايتها ـ هذه الشموس الهائلة...[1] سعة وحجماً وبعداً واتساعاً... فهي ذات أحجام مختلفة يزيد بعضها عن بعض ربما ملايين المرات[2]، ومهما تحدثنا عن عظمة السماء فإنا لا ندرك شيئاً عن ماهيتها إلا بعض علم أوصلنا اللَّه سبحانه إليه، من أجل أن ندرك معاني السماء وبعض قدرة اللَّه سبحانه... وتكفي هاتان الآيتان من سورة الواقعة ليبيِّن اللَّه لنا سبحانه عظمة السماء.

يقول تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ * وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ﴾.

[سورة الواقعة، الآيتان: ٧٥، ٧٦]

﴿لَّوۡ تَعۡلَمُونَ﴾ بحقيقة السماء وعظمتها وبمواقع نجومها أي بُعد بعضها عن بعض وأعدادها الهائلة وأحجامها الكبيرة...

... تصوروا كل هذا سيدمر ويتصدع ويتشقق وينفجر ويجمع

---

(١) يقول علماء الفلك إن شمسنا كتلة هائلة ملتهبة من النار تمتد ألسنة نارها إلى مسافة (١٥) خمسة عشر ألف ميل من جميع اتجاهاتها، نعم وإلا كيف تصل أشعتها إلى الأرض، وهي تبعد عنها ٩٤ مليون كم (كتاب الكون ذلك المجهول).

(٢) لقد اكتشف المرصد الفلكي في جنوب فرنسا عام ١٩٩٩م شمساً في إحدى المجرات القريبة، ويبلغ حجمها (٢٥) مليون مرة حجم شمسنا وقد تناقلت هذا الخبر جميع وكالات الأنباء العالمية والمجلات العلمية.

في يد الرحمن، يقول تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾.

[سورة الزمر، الآية: ٦٧]

. . . فإذا ما تشققت السماوات وأصبحت وردة كالدهان. . ترى الملائكة والتي لا يعلم عددها إلا اللّه، ولا يعلم أحجامها وأشكالها إلا اللّه.

. . تراها وبأمر من اللّه على أرجاء السماوات تنتظر أمر ربها بما تفعل.

. . . فإذا كانت هذه حالَ الملائكة وحال السماوات. . . فإن هناك من الملائكة ـ ملائكة خصهم اللّه سبحانه بحمل العرش وهذا في قوله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ ويبقى رقم ثمانية في علم اللّه. . أهو ثمانية ملائكة. . أم ثمانية آلاف أم ثمانية ملايين. . . أرقام واحتمالات لا ندركها، فهي في علم اللّه، ومن أجل العلم والمعرفة نورد مرة أخرى الحديث الشريف عن رسول اللّه ﷺ. . عن صفة واحد من الملائكة من حملة العرش.

ـ عن جابر بن عبد اللّه رضي اللّه عنه أن رسول اللّه ﷺ قال: «**أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة اللّه تعالى من حملة العرش أن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام**»(١).

أي كما بين السماء والأرض ما بين شحمة أذنه وعاتقه. . . وهذا ملك واحد سبحان اللّه وتعالى عما يشركون. . كم سيعض الظالمون على أيديهم حسرة وندماً أنهم اتخذوا لهذا الإلٰه العظيم شريكاً أو ولداً تعالى اللّه عما يقولون.

---

(١) رواه أبو داود.

. . . ولننظر ولنقرأ معاً في بعض كتب المفسرين عن شرح هاتين الآيتين العظيمتين اللتين تصوران تصويراً رائعاً لما يحدث عند قيام الساعة.

﴿ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ * وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَآ ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴾ **يقول ابن كثير في تفسيره:** ﴿ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴾:

.. عن علي قال: تنشق السماء من المجرة ـ وقال ابن جريح: هي كقوله: ﴿ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴾. ﴿ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَآ ﴾ الملك اسم جنس أي الملائكة على أرجاء السماء: أي حافاتها، وقال الضحاك: أطرافها، وقال الحسن البصري: أبوابها، وقال الربيع بن أنس في قوله: ﴿ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَآ ﴾ يقول: على ما استرق من السماء ينظرون إلى أهل الأرض، وقوله ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴾ أي يوم القيامة يحمل العرش ثمانية من الملائكة ـ وعن سعيد بن جبير في قوله تعالى: ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴾ قال: ثمانية صفوف من الملائكة.

ويقول الشيخ محمد علي الصابوني في صفوة التفاسير:
﴿ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴾ أي وانصدعت السماء فهي يومئذ ضعيفة مسترخية، ليس فيها تماسك ولا صلابة ﴿ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَآ ﴾ أي والملائكة على أطرافها وجوانبها. قال المفسرون: وذلك لأن السماء مسكن الملائكة فإذا انشقت السماء وقفوا على أطرافها فزعاً مما داخلهم من هول ذلك اليوم ومن عظمة ذي الجلال الكبير المتعال ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴾ أي ويحمل عرش الرحمن ثمانية من الملائكة العظام فوق رؤوسهم. وقال ابن عباس: ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عددهم إلا اللَّه.

ويقول أصحاب الموسوعة القرآنية الميسرة: أي تشققت السماء وتفرقت أجزاؤها فهي يومئذ ضعيفة، والملائكة على جوانب السماء وأطرافها، ويحمل عرش ربك فوق رؤوسهم يوم القيامة ثمانية أملاك.

.. من كل التفاسير نجد تفسيراً لهذه المشاهدات التي تفوق خيالنا البشري مما ذكر اللَّه سبحانه في كتابه.. وأن الأمر كبير بل أكبر وأدهى وأعظم من كل التفسيرات والتحليلات، نعم أدهى وأمر لقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾.

رابعاً: يقول تعالى: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ۞ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا﴾.

[سورة المزمل، الآيتان: ١٧، ١٨]

في تلك الآيتين الكريمتين يتوجه اللَّه سبحانه إلى من يختار طريق الكفر ثم يموت عليه ويلقى اللَّه سبحانه كافراً... فهؤلاء دخلوا تحت لعنة اللَّه سبحانه والملائكة والناس أجمعين كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ١٦١]

... أيها الكفار بأي قوة وقدرة لكم تتقون أي تبعدون عنكم هذا اليوم يوم قيام الساعة وأهوالها وما يليها من يوم القيامة... وما ينالكم فيه من عذاب وذل وصغار ومهانة؟.. كيف تتقون هذا اليوم الذي يجعل الولدان (الأطفال الصغار) شيباً من هوله وفزعه.. ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾ هذه السماء التي تنفطر وتتشقق وتتصدع ولا نعلم ماذا تُحدث من أصوات مرعبة مخيفة أثناء تشققها وانصداعها من أمر اللَّه سبحانه... أيها الناس إن وعد اللَّه مفعول وسترون بأعينكم وعد

اللَّه وقيام الساعة والبعث والنشور والحشر ـ وأرض الميعاد وستقفون بين أيدي أحكم الحاكمين ليحاسبكم.

ويقول ابن كثير في تفسيره:

﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴾ أي كيف لا تخافون أيها الناس يوماً يجعل الولدان شيباً إن كفرتم باللَّه ولم تصدقوا به؟ وكيف يحصل لكم أمان من يوم هذا الفزع الأكبر إن كفرتم، ومعنى قوله: ﴿ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴾ أي من شدة أهواله وزلازله وبلابله.

ويقول الطبري في تفسيره:

﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴾ أي كيف لا تحذرون وتخافون يا معشر قريش عذاب يوم هائل إن كفرتم باللَّه ولم تؤمنوا به؟ وكيف تأمنون ذلك اليوم الرهيب الذي يشيب فيه الوليد من شدة هوله، وفظاعة أمره؟ قال الطبري: وإنما تشيب الولدان من شدة هوله وكربه ﴿ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ﴾ أي السماء متشققة ومتصدعة من هول ذلك اليوم الرهيب العصيب ﴿ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ﴾ أي كان وعده تعالى لمجيء ذلك اليوم واقعاً لا محالة لأن اللَّه لا يخلف الميعاد.

خامساً: يقول تعالى: ﴿ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ۞ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ﴾.

[سورة المرسلات، الآيتان: ٨، ٩]

آيتان عظيمتان تتحدثان عن حالة السماء بنجومها وكواكبها وأقمارها ونيازكها وشهبها... لأن النجوم جزء لا يتجزأ من السماء وقد قدَّمنا فيما مضى من صفحات عن عظيم حجم النجوم وعظيم مواقعها، وأن اللَّه سبحانه أقسم بمواقعها لعظيم أمر مواقع النجوم، وبعد بعضها عن بعض على كثرة أعدادها الهائلة حيث يفصل ما بين أقرب نجمين ما يزيد عن آلاف الملايين من الأميال فكم يفصل بين

أبعد نجمين.. هذا بعلم اللَّه ـ وقدَّمنا أن النجوم كتل ملتهبة من النار، تمتد ألسنتها إلى ما يزيد عن خمسة عشر ألف ميل... هذه النجوم ستخمد ويذهب نورها وبدوره يذهب ضوؤها فإذا نظر الناظر بعد قيام الساعة إلى السماء فلا يجد النجوم اللامعة لأنها ذهبت وذهب نورها وانطفأت.. فإذا كنا في ظلمة مطبقة فأشعلنا النار فإنها تضيء ما حولها، وكلما زادت النار زاد نورها فإذا أطفأنا النار عاد الظلام مرة أخرى ولم نتبيَّن موقع النار، وهكذا النجوم عند قيام الساعة إذا ذهب ضوؤها لم نعد نستطيع أن نحدد موقعها.

وأما قوله: ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ﴾ أي تشققت وتصدعت بعد أن كانت محروسة متماسكة عليها ملائكة عظام يحفظونها.

يقول تعالى من سورة الجن: ﴿وَأَنَّا لَمَسۡنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدۡنَٰهَا مُلِئَتۡ حَرَسٗا شَدِيدٗا وَشُهُبٗا﴾.

[سورة الجن، الآية: ٨]

فإذا ما أتاها أمر اللَّه سبحانه تترك الملائكة مواقعها من الحراسة فتصبح على أرجائها بأمر اللَّه كما قدمنا في آية قبلها: ﴿وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ﴾ ففرجت السماء عندئذ لأنها ستصبح واهية متصدعة.

ويقول الصابوني في صفوة التفاسير: ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ﴾ أي محيت وذهب نورها وضياؤها، ويقول في ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ﴾: أي شقت السماء وتصدعت.

ويقول ابن كثير في تفسيره: ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ﴾ أي ذهب ضوؤها.

كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ﴾، وأما قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ﴾ أي فطرت وانشقت وتدلت أرجاؤها ووهت أطرافها.

سادساً: يقول تعالى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا * وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا﴾.

[سورة النبأ، الآيتان: ١٨، ١٩]

أفواجاً: أمماً أو جماعات مختلفة الأحوال.

أبواباً: أي صارت ذات أبواب وطرق.

نجد في هاتين الآيتين الكريمتين أسلوباً مغايراً لكثير من الآيات التي تتعلق في نفخة البعث (النفخ في الصور) حيث يأتي الناس أفواجاً.. وكذلك تفتح السماء فتكون أبواباً.

والمعنى أن الناس حينما يخرجون من الأرض عند نفخة البعث فإنهم يقومون سراعاً بصورة جماعات ـ جماعات وربما أمماً أمماً، كل أمة تخرج دفعة واحدة وبالملايين عدداً... فأعداد البشر بالمليارات فلا يعقل أن يخرج واحد تلو الآخر، فهذا يستغرق زمناً طويلاً وهو القائل سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾.

فكيف يكون يسيراً.. والناس يخرجون واحداً بعد الآخر؟ ثم إن هذا لو حصل ففيه عجز وضعف، وحاشا للّه الضعف والعجز وهو القادر المقتدر القائل: ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾.

أي إن الأمر بقيام الساعة وخروج الناس من قبورهم تشبه عملية لمح البصر والذي لا يستغرق زمناً إلا ثواني معدودة.

... وكذلك فإن الناس إذا خرجوا أفواجاً أفواجاً من قبورهم فإن السماء في ذلك الوقت تضعف وتصبح واهية ثم يكون فيها أبواب مفتوحة بعد أن كانت شديدةً وفيها حرس شديد.

فالسماء في الحياة الدنيا شديدة ومتينة ومليئة بالحرس الشديد من الملائكة الذين يحرسونها حراسة شديدة، فلا يستطيع أحد

اختراقها أو حتى الوصول إليها إلا بسلطان وأمر من اللّه.

يقول تعالى: ﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴾.

[سورة الجن، الآية: ٨]

فإذا جاء الوعد الحق وأذن اللّه سبحانه بقيام الساعة ترك الحرس أماكنهم وتوجهوا إلى أرجائها ينتظرون أمر اللّه سبحانه.

يقول تعالى: ﴿ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ۝ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴾.

... فلم يكن يؤذن لأحد بالدخول فيها ولكن اليوم سيحشر الناس على أرض الدنيا ثم يعرجون إلى أرض المحشر بأمر اللّه سبحانه... فالطريق في العروج إلى أرض المحشر أصبح سهلاً لتخلي الملائكة عن حراستهم للسماء وتجمعهم على أرجائها.

يقول تعالى: ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾.

[سورة المعارج، الآية: ٤]

... **يقول الصابوني في صفوة التفاسير:**

﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴾ أي يكون ذلك يوم أن ينفخ في الصور نفخة القيامة من القبور، فتحضرون جماعات جماعات وزمراً زمراً للحساب والجزاء، ثم ذكر تعالى أوصاف ذلك اليوم الرهيب فقال: ﴿ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴾ أي تشققت السماء من كل جانب، حتى كان فيها صدوع وفتوح كالأبواب في الجدران، من هول ذلك اليوم كقوله تعالى: ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴾ وعبر بالماضي ﴿ وَفُتِحَتِ ﴾ لتحقق الوقوع...

وأما في قول **ابن جرير**: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ يعني تأتي كل أمة مع رسولها كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَـٰمِهِمْ﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ٧١]

وقال مجاهد: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ أي زمراً زمراً.

وقال ابن كثير: في قوله تعالى: ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا﴾ أي طرقاً ومسالك لنزول الملائكة.

سابعاً: يقول تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ﴾.

[سورة التكوير، الآية: ١١]

كشطت: قلعت كما يقلع السقف.

. . . في كل آية تخص السماء يوم قيام الساعة يبيِّن اللَّه سبحانه لنا أهوال تدمير السماوات. . ومهما تنوع التدمير فالسماوات عظيمة وكبيرة، وفيها مليارات النجوم والكواكب ومليارات الأقمار والنيازك، فالسماء مع عظيم اتساعها لا بد أن تكون أشكالاً متعددة في انشقاقها وتدميرها وتفجيرها. . لذلك نجد تنوعاً في تناول واقع السماوات عند قيام الساعة، وكذلك عندما تقوم القيامة على طول أمدها والذي يمتد إلى خمسين ألف سنة من سنوات الأرض.

يقول تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ﴾ أي أن السماء ستنتزع من أماكنها ومواقعها وتزال وتكشط وتنزع كما ينزع الجلد من الشاة، وأرى أن هذا التشبيه من اللَّه سبحانه ﴿كُشِطَتْ﴾ وهذا التعبير يستخدم عندما تموت الدابة ثم يكشط عنها جلدها. . . أي إن الجلد كشط لأن صاحبه مات وانتهى، فالسماء أو السماوات

انتهى دورها الذي خلقها اللّه سبحانه من أجله، فتكشط وتنزع وتقلع من مواقعها كأنها ماتت وانتهى دورها.

يقول تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾.

[سورة إبراهيم، الآية: ٤٨]

فطالما أنها ستبدل بسماوات أخرى فدورها انتهى وانقضى وكأنها ماتت فكشط عنها مسوغات وجودها وزينتها فانكدرت وانطفأت وانتهت.

يقول الصابوني في صفوة التفاسير: في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴾ أي وإذا السماء أزيلت ونزعت من مكانها كما ينزع الجلد من الشاة.

ويقول ابن كثير في تفسيره: ﴿ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴾ قال مجاهد: اجتذبت، وقال السدي: كشفت، وقال الضحاك: تنكشف فتذهب.

. . . وكلها معان تتقارب، حول ذهاب وانتهاء السماوات.

ثامناً: يقول تعالى: ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴾.

[سورة الانفطار، الآية: ١]

انفطرت: انشقت عند قيام الساعة.

وفي تفسير ابن كثير: ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴾ أي تشققت كما قال تعالى: ﴿ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ﴾.

وأما في صفوة التفاسير: فيقول الصابوني في قوله تعالى: ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴾ أي إذا السماء انشقت بأمر اللّه تعالى لنزول الملائكة كقوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴾.

. . . إذاً ﴿ٱنفَطَرَتْ﴾ تشققت وانكدرت نجومها بانطفاء لهيبها بعد أن يأمرها اللَّه سبحانه بذلك ثم يجمعها اللَّه سبحانه كلها بيده بعد ذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾.

فكل هذه السماوات والتي لا يعلم مداها إلا اللَّه ولا يعلم ما فيها إلا اللَّه، تطوى كطي السجل للكتب وتصبح جميعاً بقبضة الرحمن إيذاناً كما وعد بتبديلها بسماوات أخرى كما في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾.

تاسعاً: يقول تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۞ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾.

[سورة الانشقاق، الآيتان: ١، ٢]

﴿ٱنشَقَّتْ﴾ انصدعت عند قيام الساعة.

﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾ استمعت وانقادت للَّه تعالى.

﴿وَحُقَّتْ﴾ حق اللَّه عليها الاستماع والانقياد.

يقول ابن كثير في تفسيره: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ وذلك يوم القيامة ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾ أي استمعت لربها وأطاعت أمره فيما أمرها به من الانشقاق وذلك يوم القيامة ﴿وَحُقَّتْ﴾ أي وحق لها أن تطيع أمره لأنه العظيم الذي لا يمانع ولا يغالب بل قد قهر كل شيء وَذلَّ له كل شيء.

ويقول الصابوني في صفوة التفاسير: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾:

هذه الآيات بيان لأهوال القيامة وتصوير لما يحدث بين يدي الساعة من كوارث وأهوال يفزع لها الخيال، والمعنى: إذا تشققت

السماء وتصدَّعت مؤذنة بخراب الكون. **قال الألوسي**: تنشق لهول يوم القيامة ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ أي واستمعت لأمر ربها وانقادت لحكمه وحق لها أن تسمع وتطيع وأن تنشق من أهوال القيامة.

... إذاً فكل شيء ينصاع لأمر اللَّه تعالى، فلم يعد من شيء خلقه اللَّه سبحانه في يوم القيامة إلا وهو منصاع انصياع قهر وذل للخالق الذي أوجد كل هذا، بَدءاً من أصغر المخلوقات إلى أكبر المخلوقات روحاً وجماداً إنساً وجناً وحيواناً وما نعلم وما لا نعلم... والكون منصاع للخالق ومنذ خلقه اللَّه سبحانه، ولكن يقدم ويؤخر، واللَّه المقدِّم والمؤخر قدَّم أشياء للحياة الدنيا وأخّر أشياء للآخرة، ومن قبل كل خلق منصاع يقول تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾.

[سورة فصلت، الآية: ١١]

... ما قدَّمناه هو حال الأرض والجبال والبحار والسماء عند قيام الساعة وما يحدث فيها من تصدع وزلزال ونسف وتفجير وتسجير وتكوير وانشقاق وصعق وموت لكل الخلائق، وهذا كله أول البداية والذي يعقبه (البعث والنشور) الذي سيكون عنوان الجزء التالي وهو الجزء الخامس من موسوعة الآخرة.

الخاتمة

. . . أرجو اللَّه سبحانه أن يكون الذي قدمناه مقبولاً لأن قيام الساعة وأحداثها العظام لا يسعه كتيب صغير. . فإن علماء الفلك اليوم يتكلمون عن نجم واحد أو كوكب واحد بمئات الصفحات، فكيف بالحديث عن الكون كله، سماواته وأرضه وبحاره وجباله ووديانه وسهوله وصحرائه ونيازكه وشهبه وكواكبه ومجراته، فقدرة اللَّه سبحانه لا يحدها حدود.

ولكن بفضل اللَّه سبحانه تكلمنا بما بين أيدينا من بعض علم علمنا إياه رب العالمين ورسوله الكريم، وما اكتشفه علم الفلك من مجرات ونجوم وكواكب ونيازك عن طريق التلسكوبات والمراكب الفضائية التي باتت تغزو الفضاء كل حين، حتى توسعت مداركنا العلمية واستطعنا بهذه الاكتشافات فَهم كثير من الآيات القرآنية الكريمة وتفسير أحاديث رسول اللَّه ﷺ كتفسير النار التي تخرج من اليمن (عدن) تحشر الناس إلى أرض المحشر. . ولقد بيَّن لنا علم الفلك معاني السماء وبيان قدرة اللَّه سبحانه ومن هو الإلٰه المعبود الذي نعبده، فهو القادر على طَيِّ السماء وقبض الأرض وقيام الساعة وإحياء الموتى وبعثهم من جديد، ليقفوا بين يديه للعرض عليه والحساب وصدق اللَّه سبحانه إذ يقول: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾.

[سورة الأنعام، الآية: ٩١]

أي أن كثيراً من الناس ما تبيَّن لهم قدرة اللَّه وما عرفوا عنها

شيئاً وهؤلاء هم الكفرة الفجرة الذين ألهتهم الحياة الدنيا وغرَّهم باللَّه الغَرور، فنسوا لقاء اللَّه سبحانه والعودة إليه ليحاسبهم على ما اقترفوه من ظلم وشرك وكفر، وعند قيام الساعة سيعلم الذين نسوا اللَّه سبحانه أي منقلب ينقلبون.

وبعد فكلي أمل من اللَّه سبحانه أن يقبل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم ويعفو عني إذا أخطأت في تقدير أو تحليل أو تفسير ما قدَّمناه، فهو ضمن عقولنا وإمكانياتنا، فقيام الساعة خارج عن حدود تفكير وعقول البشر إلا القدر اليسير من علم بيَّنه اللَّه سبحانه ورسوله الكريم ﷺ.

وكلي أمل أن يجعل اللَّه سبحانه عملي هذا في ميزان حسناتي يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى اللَّه بقلب سليم.. وكذلك أرجو أن يجعل هذا العمل في صحيفة حسنات كل من ساهم في طبع ونشر هذا العمل (موسوعة الآخرة).

وأرجو من اللَّه سبحانه أن تشمل رحمته من قرأ هذه الموسوعة وعلم منها فرشد واهتدى.. واللَّه من وراء القصد.. وآخر دعوانا أن الحمد للَّه رب العالمين.

المؤلف

ماهر أحمد الصوفي

أبو ظبي ص. ب ٢٩٢٢

كتب وأبحاث صدرت للمؤلف
ماهر أحمد الصوفي

١ ـ آيات اللَّه في البحار.
٢ ـ من آيات اللَّه في السماء.
٣ ـ من آيات اللَّه في السماء (آية الكرسي).
٤ ـ هل يوم القيامة خمسون ألف سنة؟
٥ ـ الحور العين ونساء الدنيا.
٦ ـ الرزق والمال بين السُّنة والقرآن.
٧ ـ الإسلام والقرن الواحد والعشرون.
٨ ـ الصلاة على المذاهب الأربعة.
٩ ـ الصيام على المذاهب الأربعة.
١٠ ـ الطهارة على المذاهب الأربعة.
١١ ـ الزكاة على المذاهب الأربعة.
١٢ ـ الحج على المذاهب الأربعة.
١٣ ـ الاستنساخ البشري بين الحقيقة والوهم.
١٤ ـ آيات اللَّه في النفس والروح والجسد.
١٥ ـ الوجيز في تفسير وإعراب وبيان كلمات القرآن الكريم جزء (١ ـ ٢).
١٦ ـ الهبوط على المرِّيخ وبيان قدرة اللَّه.
١٧ ـ أسياد الدنيا وأسياد الآخرة.

١٨ ـ المجدد لدين اللَّه تعالى.
١٩ ـ المرأة في ميزان الواقع بين الحق والباطل.
٢٠ ـ الإنسان في عالم الذنوب والتوبة والغفران.

المجموعة القصصية الإسلامية والعلمية.

٢١ ـ المجموعة الأولى: العودة إلى الحياة.
٢٢ ـ المجموعة الثانية: الاغتراب.
٢٣ ـ المجموعة الثالثة: المتمردة.
٢٤ ـ حتمية الإيمان بالقضاء والقدر.
٢٥ ـ عالم الإنس والجن والشياطين بين الحقائق والأوهام.
٢٦ ـ السحر والتنجيم بين الحقائق والأوهام.
٢٧ ـ صفوة الدعاء وأسرار الابتلاء والامتحان.
٢٨ ـ عالم البرزخ بين الحقائق والأوهام.
٢٩ ـ فقه وأحكام المرأة المعاصرة.
٣٠ ـ فقه العبادات على الطريقة التعليمية.
٣١ ـ الصفوة المنتقاة من كتب الرواة للأحاديث النبوية الصحيحة.

موسوعة الآخرة:

٣٢ ـ علامات الساعة الصغرى والوسطى.
٣٣ ـ علامات الساعة الكبرى.
٣٤ ـ الموت وعالم البرزخ.
٣٥ ـ الحشر وقيام الساعة.
٣٦ ـ البعث والنشور.
٣٧ ـ بداية يوم القيامة ـ أرض المحشر ـ الحوض ـ الشفاعة العظمى.

مراجع موسوعة الآخرة

١ ـ القرآن الكريم.
٢ ـ صحيح البخاري.
٣ ـ صحيح مسلم.
٤ ـ اللؤلؤ والمَرجان فيما اتفق عليه الشيخان..
٥ ـ مسند الإمام أحمد.
٦ ـ سنن التِّرمذي.
٧ ـ سنن ابن ماجه.
٨ ـ سنن النسائي.
٩ ـ صحيح ابن حِبان.
١٠ ـ صحيح الجامع الصغير للسيوطي.
١١ ـ المعجم الأوسط والكبير للطبراني.
١٢ ـ سنن أبي داود.
١٣ ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني.
١٤ ـ صحيح ابن خزيمة.
١٥ ـ شعب الإيمان، والبعث والنشور، للبيهقي.
١٦ ـ المستدرَك للحاكم.
١٧ ـ كشف الخفاء ومزيل الإلباس/ الشيخ إسماعيل العجلوني الشافعي.

١٨ ـ الصفوة المنتقاة من كتب الرواة للأحاديث النبوية الصحيحة ـ للمؤلف.
١٩ ـ تفسير ابن كثير.
٢٠ ـ تفسير ابن جرير.
٢١ ـ صفوة التفاسير للصابوني ـ طبعة ـ المكتبة العصرية ـ بيروت ـ صيدا.
٢٢ ـ الموسوعة القرآنية الميسرة ـ طبعة دار الفكر دمشق.
٢٣ ـ فتح الباري لابن حجر العسقلاني.
٢٤ ـ فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية.
٢٥ ـ جامع الأصول: ابن الأثير.
٢٦ ـ مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي.
٢٧ ـ شرح العقيدة الطحاوية.
٢٨ ـ الروح لابن قيم الجوزية.
٢٩ ـ الحلية: أبو نعيم.
٣٠ ـ مجموعة المحاضرات العلمية ـ الدكتور عبد المجيد الزنداني.
٣١ ـ الإشاعة لأشراط الساعة ـ محمد بن رسول الحسيني البرزنجي.
٣٢ ـ التذكرة للقرطبي ـ طبعة ـ المكتبة العصرية ـ بيروت ـ صيدا.
٣٣ ـ أهوال يوم القيامة: الإمام الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير الشافعي الدمشقي.
٣٤ ـ الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة: للإمام أبي حامد محمد الغزالي.
٣٥ ـ التخويف من النار: للحافظ أبي الفرج ابن رجب الحنبلي البغدادي الدمشقي.

٣٦ ـ كبرىٰ اليقينيات الكونية: الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي.
٣٧ ـ القيامة الصغرى والكبرى: د. عمر سليمان الأشقر.
٣٨ ـ الإيمان بعوالم الآخرة: عبد اللّه سراج الدين.
٣٩ ـ الحور العين ونساء الدنيا: للمؤلف.
٤٠ ـ آيات اللّه في البحار: للمؤلف.
٤١ ـ آيات اللّه في السماء: للمؤلف.
٤٢ ـ اليوم الآخر: عبد القادر الرحباوي.
٤٣ ـ جهنم أهوالها وأهلها: للعلامة صدِّيق حسن خان.
٤٤ ـ يوم الحشر: أ ـ د محي الدين الصَّافي.
٤٥ ـ التفسير المنير ـ الدكتور وهبة الزحيلي.
٤٦ ـ لوامع الأنوار البهية: ابن المبارك.
٤٧ ـ الزهد والرقائق وزيادات الزهد: ابن المبارك.
٤٨ ـ شرح النووي على مسلم: للإمام النووي.
٤٩ ـ مختار الصِّحاح: دار المعارف مصر.
٥٠ ـ الكبائر: للذهبي.
٥١ ـ الهيثمي: الفتاوى الحديثية.
٥٢ ـ الترغيب والترهيب: الحافظ المنذري.
٥٣ ـ التوهم والأهوال: المُحاسبي.
٥٤ ـ الدار الآخرة: محمد متولي الشعراوي.
٥٥ ـ القيامة بين العلم والقرآن: الدكتور داود سلمان السعدي.
٥٦ ـ المصنف: ابن أبي شيبة.

فهرس المحتويات

سلسلة

موسوعة الآخرة

هذا العمل الموسوعي ليوم القيامة يُعَدُّ عملاً غير مسبوق من حيثُ اشتمال الموسوعة على عشرة أجزاء. . . . تناول الكاتب في كل جزء منها موضوعاً مستقلاً من موضوعات الآخرة بكل دقة وتفصيل. . . . معتمداً على كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ والتحليل والتفسير وآراء العلماء السابقين والمعاصرين. . . . ومعتمداً على الحقائق العلمية في تفسير الأحداث الكونية والتغيُّرات البشرية والجيولوجية في جميع مراحل يوم القيامة.

أسماء وعناوين أجزاء موسوعة الآخرة

١ ـ الجزء الأول : علامات الساعة الصغرى والوسطى
٢ ـ الجزء الثاني : علامات الساعة الكبرى
٣ ـ الجزء الثالث : الموت وعالم البرزخ
٤ ـ الجزء الرابع : الحشر وقيام الساعة
٥ ـ الجزء الخامس : البعث والنشور
٦ ـ الجزء السادس : بداية يوم القيامة ـ أرض المحشر ـ الحوض ـ الشفاعة العظمى
٧ ـ الجزء السابع : الحساب والعرض على اللّٰه سبحانه
٨ ـ الجزء الثامن : الميزان ـ الصحف ـ الصراط ـ أنواع الشفاعات
٩ ـ الجزء التاسع : النار أهوالها وعذابها
١٠ ـ الجزء العاشر : جنان الخلد نعيمها وقصورها وحورها

الناشر



ISBN 9953-34-343-8
9 789953 343433